

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة-

كلية الآداب واللغات

قسم الأدب واللغة العربية

الموضوع:

# التفكير النحوي وأثره في \* التفسير \*

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية تخصص علوم اللسان

إشراف الأستاذ:

\*صالح حوحو

إعداد الطالبة:

\*حليمة سعيدان

السنة الجامعية: 1433هـ/1434هـ

2012 م/2013 م

بِسْمِ اللَّهِ  
الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ

﴿ رب أوزعني أن  
أشكر نعمتك التي  
أنعمت علي وعلى  
والدي وأن أعمل صالحا  
ترضاه وأدخلني  
برحمتك في عبادك الصالحين



صدق الله العظيم

سورة النمل: الآية تسعة عشر

# دعاء

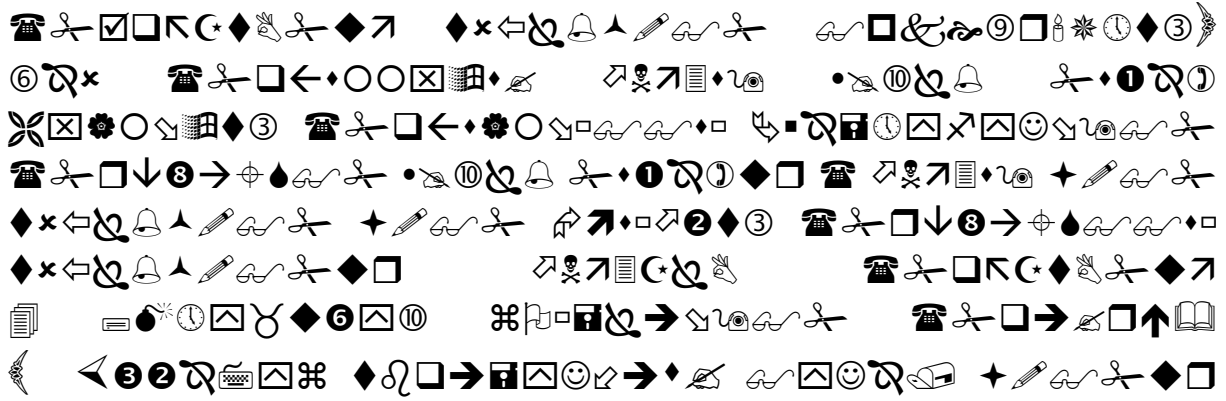
اللهم لا تجعلنا نصاب  
بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس  
إذا أخفقنا وذكّرنا أن  
الإخفاق هو التجربة التي  
تسبق النجاح ، اللهم إذا  
أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ  
تواضعنا وإذا أعطيتنا  
تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا  
بكرامتنا ، اللهم أهدنا إلى  
الطريق المستقيم وخذ  
بأيدينا واجعلنا من عبادك  
الصالحين.





# شكر وعرفان

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عملاً بقوله تعالى :



[سورة المجادلة: الآية الحادية عشر].

ومن منطلق الرسول الكريم عليه الصلاة وأزكى السلام في الحديث الشريف :

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

الحمد لله حمدا كثيرا عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته أن

وفقني وسدد خطاي لإتمام هذه المذكرة.

بأسمى عبارات الاحترام والتقدير أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل الكريم "صالح حوحو" الذي أحاطني بعلمه، وتقبلني بكل حفاوة، وبنطانه أرشدني لإنجاز هذا البحث، أدامه الله خادما للعلم والدين، داعية الله له بدوام الصحة والعافية، وحقق له كل ما يصبو إليه. وأن يبارك له في عمره وأن يحفظه من كل سوء، وأن يجعل كل ما يبذله في سبيل العلم في ميزان حسناته.

كما لا أنسى أن أوجه تحية شكر وتقدير إلى كل من علمني، وإلى جميع أساتذة

وطلبة الأدب العربي .

وأعزز في الأخير بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في وضع لبنات هذا العمل

راجية المولى عز وجل أن يبارك لنا في أعمالنا، وأن يفتح علينا بالفتح المبين.

- آمين يا ربّ العالمين -

# إهداء

إلى خير الناس :

السّاهرين على طلب العلم وخدمة كتاب الله ودينه .

إلى الأستاذ المحترم:

صالح حوحو أتمنى له كل الخير وسعادة الدنيا والآخرة .

# خطة البحث

مقدمة

**الفصل الأول: علم التفسير وعلاقته بالنحو العربي.**

**المبحث الأول:** علم التفسير (المفهوم، النشأة، التطور).

**المبحث الثاني:** أثر البحث النحوي في نشأة التفسير.

**المبحث الثالث:** التقعيد ومصادره.

**المبحث الرابع:** الزمخشري (دراسة حياته وفكره).

**الفصل الثاني: التفكير النحوي وأثره في التفسير "دراسة تطبيقية".**

**المبحث الأول:** دراسة تحليلية للربع الأول من تفسير الكشاف.

**المبحث الثاني:** دراسة تحليلية للربع الثاني من تفسير الكشاف.

**المبحث الثالث:** دراسة تحليلية للربع الثالث من تفسير الكشاف.

**المبحث الرابع:** دراسة تحليلية للربع الرابع من تفسير الكشاف.

الخاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

حققت

إنّ النّصّ القرآنيّ أعظم وأجلّ النّصوص اللّغوية لوضع قواعد اللّغة، وإنّ فهم النّصّ القرآنيّ وتفسير معانيه كان دافعا لظهور الدّراسات النّحوية وغيرها من الدّراسات اللّغوية الأخرى.

لذلك اعتمد المفسّرون النّحو لما في قوانينه وأحكامه ووجوه الإعراب من أثر كبير في توضيح المعاني وتحديد المقاصد، وسيلة تعين على فهم القرآن الكريم .

لقد بدا الاهتمام بالنّصّ القرآنيّ واضحا منذ جهود أبي الأسود الدؤليّ في وضعه أولى قواعد اللّغة حماية للقرآن من اللّحن والتّحريف، فكان إعراب كتابه عزّ وجلّ الباعث الأصيل على وضع النّحو وتأسيس قواعده، لأنّ الإعراب يؤدي اختلافه إلى فساد في المعنى.

وعندها وجب على العلماء الاهتمام بألفاظ القرآن وتراكيبه على وجهها السّليم ومعانيها الصّحيحة.

أقبل النّحويون على كتاب الله تعالى يستنبطون منه أحكام النّحو وبينون عليه مبادئه ويعربون آياته، ويفسّرون معانيه من خلال قراءاته، فألفت حينها الكثير من المؤلّفات خدمة لهذا الدّين العظيم.

ولعلّ كتاب سيبويه (الكتاب) كان الحامل للبذور الأولى لتفسير القرآن الكريم -على حد رأي أحد الباحثين- من خلال النّصّ لفهمه، اعتمادا على تركيبه اللّغوي وأسلوبه العربي وقال فيه تحليلا فنيا لبعض الآيات القرآنية فاعتبره مقدّمة ومحاولة لنشأة التّفسير بالرّأي.

ومن كتاب سيبويه تصادفنا كتب (معاني القرآن) التي هي الأخرى كان أصحابها ممن اهتموا ببيان معاني القرآن انطلاقا من قواعد النّحو، فكانت هذه الكتب إلى جانب الكتب المؤلفة في النّحو على اختلاف ألوانها عونا لنشأة التّفسير بالرّأي، ونلمس ذلك بشكل واضح في تفسير الطّبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن".

هذا الأخير الذي أخذ هو الآخر بعلم النّحو وعلوم اللّغة الأخرى إلى جانب التّفسير بالمأثور في كشف معاني كتاب الله عزّ وجلّ.

وقد اعتبره العلماء بأنه أجلّ التّفسير وأعظمها؛ لأنّه أوّل من عرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، كما عرض للإعراب والاستنباط..

وهكذا بقيت العناية بالتّفسير قائمة إلى أن ظهر تفسير الزّمخشري "الكشاف" الذي برز معه التّفسير اللّغوي أكثر، فعّدّ تفسيره هذا قمة التّفسير اللّغوي النّحويّ.

والملاحظ على هذا التّفسير إمام مؤلّفه بمسائل نحوية كثيرة كان لها الأثر الكبير في بيان المعاني القرآنية.

من هذا المنطلق (تفسير القرآن على أسس القواعد النّحوية) تمّ اختياري لهذا الموضوع (التّفكير النّحوي وأثره في التّفسير) تفسير الكشاف 'نموذجاً' حيث كان مرد اختياره لسببين هما:

- أنّ هذا الموضوع كان من المواضيع المتميزة، إذ جمع بين علم النّحو والقرآن و تفسيره.

- أما تفسير الكشاف للإمام الزّمخشري فاقيمته العلمية التي يتمتع بها عن سائر التّفسير من حيث جمع مؤلّفه بسائر علوم اللّغة لبيان معاني الآيات القرآنية وخصوصاً ما يتعلق بالنّحو العربي، إضافة إلى مكانة صاحبه العلمية.

ولذلك حاولت على إثر هذا الموضوع الإجابة على الإشكال التالي :

## ما مدى استفادة المفسّرين من النّحو العربي ؟

لبلوغ جملة من الأهداف:

\* معرفة الصّلة الرّابطة بين علمي النّحو والتّفسير والقرآن وتفسيره.

\* معرفة أثر القاعدة النّحوية في تفسير القرآن.

\* معرفة كيف استفاد المفسّرون من النّحو؟.

\* معرفة دور النّحو في حلّ بعض القضايا التّفسيرية .

\* كيف ساهم النّحو في إبراز المعنى القرآني؟...إلى غير ذلك من الأهداف.

وبناء على المنهج الوصفي التحليلي الذي رأيت فيه المنهج المناسب لهذه الدراسة من حيث جمع المعلومات واستخراج بعض هذه القضايا النحوية التفسيرية وتحليلها وشرحها وبيان أثر القاعدة النحوية في تفسيرها ، قسّمت البحث إلى فصلين : فصل أول نظري ، وفصل ثانٍ تطبيقي، كنت قد بدأتها بمقدمة تمّ الحديث فيها عن موضوع البحث، وأهميته وهدفه، وأسباب اختياره، والإشارة إلى المنهج المعتمد،....

لأج بعدها عتبة الفصل الأول الذي جاء بعنوان (علم التفسير وعلاقته بالنحو العربي) وتضمّن أربع مباحث، المبحث الأول كان لماهيّة علم التفسير، والثاني للحديث عن أثر النحو في نشأة التفسير، أما الثالث فكان للحديث عن مفهوم التّعيد ومصادره، وآخر مبحث جعلته للحديث عن حياة العلامة الزمخشري من حيث مولده، نشأته، فكره،...وكتابه الكشاف.

أما الفصل الثاني الذي كان عنوانه ( التّفكير النحوي وأثره في التفسير الكشاف "نموذجاً"-دراسة تطبيقية-) فقد كان تطبيقياً تناولت فيه بعض القضايا النحوية التفسيرية التي تمّ التّعرّض إليها، وقسمته هو الآخر إلى أربع مباحث، كان المبحث الأول تحليلياً لأهم القضايا النحوية التفسيرية التي كانت في الربع الأول من القرآن الكريم، والمبحث الثاني للربع الثاني، وهكذا كان المبحث الثالث والرابع.

وأنهت البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي تمّ التّوصّل إليها، تلتها قائمة أهم المصادر والمراجع المعتمدة لإثراء هذا البحث، وكان في طليعتها كتاب الله العزيز الحكيم أمّا أهم المصادر فنذكر منها: تفسير الكشاف للإمام "الزمخشري"، تفسير "ابن كثير" تفسير القرآن العظيم، تفسير المنار للمؤلف "محمد رشيد رضا"، وتفسير دُرّج الدرر "لعبد القاهر الجرجاني"، وكذلك كتاب النحو وكتب التفسير " للدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة" وكتاب نظرية المعنى في الدراسات النحوية "للدكتور كريم حسين ناصح الخالدي"، كتاب الزمخشري وجهوده في النحو"للدكتور سالم نادر عطية"، وكتاب الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري "للدكتور فاضل صالح السامرائي"...، وأيضاً كتب نحوية متنوعة كان من أبرزها :كتب "ابن هشام" كمغني اللبيب، وشرح شذور الذهب، وشرح قطر الندى وبل الصدى، والمفصل في صنعة الإعراب "للزمخشري"، وأسرار العربية "لابن الانباري"



...إلى غير ذلك من المصادر والمراجع، ويلى كل هذا فهرس تحليلي شامل لأهم الموضوعات التي تم تناولها ضمن البحث.

وكأيّ بحث فقد واجهتني بعض الصّعوبات كان من أهمها: الغموض، وصعوبة الموضوع، ودقّته من حيث صعوبة التفريق بين علوم اللّغة وخاصة ما يتعلّق منها بالجانب البلاغي والنحوي.

وفي الأخير لا يسعني إلاّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، وأخصّ بالذكر الأستاذ الكريم الفاضل "صالح حوحو" الذي تكرم بالإشراف عليّ فكان الموجّه لي في كلّ خطوة، فله مني كلّ الاحترام والتقدير وجزاه الله كلّ خير.

وأرجو من الله عزّ وجلّ أن يكون البحث لبنة جادة في الميدان العلمي، وأن أكون قد وفقت ولو في جانب من جوانبه، فمن الله نستمد التوفيق، والمولى نستعيذه من خطأ اللسان، وزلّة الكلام، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

# الفصل

## الأول:

### علم التفسير وعلاقته بالنحو العربي

المبحث الأول:  
علم التفسير (المفهوم، النشأة،  
التطور).

المبحث  
الثاني: أثر البحث النحوي في  
نشأة التفسير.

المبحث الثالث:  
التقعيد ومصادره.

المبحث الرابع:  
الزحشري (دراسة حياته وفكره،  
...).

# المبحث الأول: علم التفسير (المفهوم، النشأة، التطور).

## القرآن الكريم

كلام الله سبحانه وتعالى، وحبله المتين، ونوره المبين، دستور الأمة أجمعين ومنهاجها في الحياة والدين، من استمسك به لا يضل عن طريقه المستقيم، ومن ثمّ الفوز بالجنة يوم الدين، قال تعالى: ﴿لَا يُلَاقِيهَا إِلَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ [سورة ص: الآية خمسون].

أنزله على خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم، المبعوث برسالة الإسلام إلى الناس كافة، ليلتوهم ويتدبروا ألفاظه وأساليبه الجليلة، قال تعالى: ﴿لَا يُلَاقِيهَا إِلَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ [سورة ص: الآية تسعة وعشرون]. فهنا إشارة لأمره سبحانه وتعالى بوجوب الاعتناء بكتابه العظيم، وذلك من خلال النظر في آياته، للإحاطة به، وكشف معانيه.

وهذا ما كان سبيله عليه الصلاة والسلام في إيلاغ رسالته، قال تعالى: ﴿لَا يُلَاقِيهَا إِلَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ [سورة النحل: الآية أربعة وأربعون]، لأجل الاهتداء والعمل به، ممهداً صلى الله عليه وسلم لما يعرف بعلم التفسير.

## المطلب الأول: مفهوم علم التفسير.

### أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي.

1- التفسير في اللغة: هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُلَاقِيهَا إِلَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ [سورة الفرقان: الآية ثلاثة وثلاثون]:

أي "بيانا ووضوحاً"<sup>1</sup>، وهو مأخوذ من الفَسْرُ وهو الإبانة والكشف، قال ابن منظور في لسان العرب: "فسر: الفَسْرُ: البيان وكشف المغطى: والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"<sup>2</sup>.

من هذا يتبين لنا أن التفسير يستعمل في الكشف عن المعاني المعقولة.

## 2- التفسير في الاصطلاح: نورد جملة من التعريفات:

- "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"<sup>3</sup>.

- "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"<sup>4</sup>.

- "علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب"<sup>5</sup>.

فجل هذه التعاريف تتفق في أن علم التفسير يبحث فيه عن مقاصد القرآن الكريم، بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المراد من كلامه العليّ القدير، حيث يتطلب ذلك مجموعة من المعارف والعلوم: علم النحو، والصرف والبلاغة، والفقه، وأسباب النزول، والقصص، إلى غير ذلك مما يساعد على فهم هذا النصّ الجليل، وإدراك مقاصده .

## ثانياً: الفرق بين التفسير والتأويل.

من الظواهر الفكرية اللغوية ذات الأهمية البالغة في إيضاح المعنى إلى جانب التفسير، التأويل.

1 - الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص:391.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة ( فسر )، ج5، ص:55.

3 - محمد علي الصّابوني: في علوم القرآن، ص:61.

4 - محمد عبد العظيم الزر قاني: مناهل العرفان، ج1، ص:4.

5 - أحمد عبد الغفار: التفسير ومناهجه والنص وتفسيره، ص:8.

هذا الأخير الذي اتّخذَه العلماء على اختلاف مناهجهم ومنذ زمن بعيد بمفردات ومصطلحات متعددة، نورد منها ما يخدم بحثنا:

## 1- التّأويل في اللغة:

- "أولّ الكلام تأويلاً، وتأوله: دبّره، وقدره وفسّره"<sup>1</sup>، قال تعالى:  
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَتَّبِعُنَّكَ وَابْتَدِئْ بِنَارِ الْكَلْبِطِ ۖ وَتَبِعْنَا نَارًا وَرَبَّتْ لَنَا غَنَاقٌ يُغْزِيهِمْ وَرَبَّتْ لَنَا إِذْ نَارُ الْكَلْبِطِ أَهْلَكَ ۗ﴾ [سورة الكهف: الآية ثمانية وسبعون]. أي "بتفسير"<sup>2</sup>.

يقول ابن الأعرابي : "التفسير والتأويل والمعنى واحد"<sup>3</sup>.

## 2- التّأويل في الاصطلاح:

عرفه أبو المنصور الماتريدي" بقوله: "التّأويل ترجيع أحد المحتملات بدون القطع"<sup>4</sup>؛ أي: "بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة"<sup>5</sup>؛ أي توضيح المقاصد المتخفية وراء هاته الإشارات والرموز.

أما الفرق بين التفسير والتّأويل فيمكن في:

لقد فرّق "ابن الجوزي" بين التفسير والتّأويل في قوله: "التفسير إخراج الشيء من معلوم الخفاء إلى مقام التّجلي، والتّأويل: نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ"<sup>6</sup>.

1 - الفيروز أبادي: قاموس المحيط، ج3، ص:45.

2 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص:122 .

3 - ابن منظور : لسان العرب، مادة ( فسر )، ج5، ص:55.

4 - أحمد عبد الغفار: النصّ القرآني بين التفسير والتّأويل، ص:91.

5 - الزّرّ قاني: مناهل العرفان، ج2، ص:6.

6 - أحمد عبد الغفار: التّأويل الصّحيح للنصّ الديني، ص:43.

في حين أجمل "ابن فارس" وسائل المعنى في: "المعنى والتفسير والتأويل، وهي إن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة"<sup>1</sup>.

إذن كل من التفسير والتأويل هدفه كشف دلالة الألفاظ وتوضيح معانيها.

وعليه فإن: كل من التفسير والتأويل مصطلحان مترادفان ومتكاملان في كشف المعاني والمقاصد القرآنية بصورة خاصة، حيث أن التفسير هو: كشف المعاني القرآنية الظاهرة لمراد الله العزيز الحكيم، أما التأويل فهو: كشف المعاني الخفية لها والمستنبطة بعد تأمل وتفكير.

ويبقى علمها لله وحده لا شريك له، قال تعالى في سورة آل عمران الآية السابعة: ﴿

وخلاصة القول: فإن علم التفسير يعد من أهم العلوم القرآنية وأشرفها، لما فيه من فائدة عظيمة وضرورة حاسمة في كشف وبيان مراد الله عزّ وجلّ من كلامه، فهو مفتاح الكنوز التي يزخر بها كتابه المجيد، إذ ما أحوج المسلم إليه اليوم، وبخاصة في زمن كثر فيه فساد الملكة العربية من جهة، ومن جهة أخرى، بل وأخطرها جهل المسلم لأمر دينه والتي إنما هي في تدبره وتفهمه لكتاب الله العلي القدير، والجلوس إليه، والاستفادة من هديه وآدابه، وذلك من خلال العمل على فهم لغته وأسرارها، لأن جهله لها هو ما أفقده هدايته.

أو لم يقل سبحانه وتعالى: ﴿

**المطلب الثاني: نشأة علم التفسير.**

أولاً: عهد النبوة ونشأة علم التفسير.

<sup>1</sup> - ابن فارس: الصحابي، ص: 144.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ حَسِينَةٍ﴾ [سورة البقرة: الآية مائة وخمس وثمانون]، ففي شهر رمضان الكريم نزلت أولى آيات الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ حَسِينَةٍ﴾

العلق: من الآية الأولى إلى الآية الرابعة]، بواسطة الأمين (جبريل) عليه السلام، على خير الأنام محمد ﷺ، المبعوث برسالة الإسلام بشيرا ونذيرا إلى الخلق كافة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ حَسِينَةٍ﴾ [سورة

العلق: من الآية الأولى إلى الآية الرابعة]، بواسطة الأمين (جبريل) عليه السلام، على

خير الأنام محمد ﷺ، المبعوث برسالة الإسلام بشيرا ونذيرا إلى الخلق كافة، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ حَسِينَةٍ﴾ [سورة العلق: من الآية الأولى إلى الآية الرابعة]

سورة الشعراء: من الآية مائة واثنان وتسعين إلى الآية مائة وخمس وتسعين]. فمن هذا الحدث العظيم في حياة البشرية أجمعين، بداية من شخصه عليه الصلاة وأزكى السلام تجددت حياة الدنيا والدين، وانصرفت المهام إلى مصدر العلم النافع الذي هو من عنده عز وجلّ فهو الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ حَسِينَةٍ﴾ [سورة الرحمن: من الآية الأولى إلى الآية الرابعة].

فكان عليه -صلى الله عليه وسلم- أن يحفظه ويبلغه لأصحابه -رضي الله عنهم- وبيانه وتفسيره بأسلوبه من خلال أحاديثه وأفعاله وأقاويله، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ حَسِينَةٍ﴾ [سورة النحل: الآية أربعة وأربعون].

وكان منهجه صلى الله عليه وسلم "القرآن الكريم"، وكان يشرف بنفسه على تربية أصحابه ويعلمهم، ومن أشهر هؤلاء: أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص ... رضي الله عنهم جميعا.

يقول في ذلك 'ابن خلدون': "أنّ القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا ... يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملا جملا، وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع (...). وكان النبي ﷺ هو المبيّن لذلك (...). يبيّن المجمل ويميّز النَّاسخ من المنسوخ، ويعرّفه أصحابه فعرّفوه، وعرّفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه"<sup>1</sup>.

فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وفي بيئة عربية خالصة، فكان للصّحابة الدّين الجديد، والدستور الأعلى للدّعوة والحياة والدولة والحضارة، وكان عليهم أن يفهموه ويعلموا به، حتى يكسبوا رضوانه عزّ وجلّ ويعيشوا من ثمة في سعادة الدّنيا وثواب الآخرة.

فهم كانوا ملازمين معلمهم صلى الله عليه وسلم نزول الوحي، بكتابته وحفظه، وكيفية قراءته، ومحاولة فهمه لأنهم يجهلون دقائقه ويتفاوتون في درجة الفهم.

فالتفسير إذن نشأ مبكرا في عصر النبوة على يده صلى الله عليه وسلم، فهو أوّل شارح ومفسّر لكتاب الله العظيم، وذلك ببيان بعض المعاني لبعض الآيات القرآنية، وكان مشافهة

وتلقينا، وملازما نزول القرآن حيث "كان النبي ﷺ يُسأل عن بعض الأمور، فلا يجيب عنها، وربما مرّ على سكوته زمن طويل، حتى تنزل آية من القرآن في شأن سؤاله"<sup>2</sup>.

فلم تكن الحاجة حينها إلى وضع تآلف في علوم القرآن بأمر منه عليه السّلام، مخافة أن يختلط القرآن الكريم بالحديث الشّريف من جهة، ومن جهة ثانية عدم توفر أدوات الكتابة المناسبة، إلا بعض الأدوات البسيطة نحو: العُصب، واللّخاف، ... إضافة إلى أن معظم الصّحابة كانوا أميين.

<sup>1</sup> - ابن خلدون: المقدمة، ص:446.

<sup>2</sup> - علي محمد محمد الصّلابي: السيرة النبوية، ج1، ص:105.



أما طرق التفسير المعروفة آنذاك فهي: تفسير القرآن بالقرآن، وهي أصح طرق التفسير، وتفسير القرآن بالسنة، لأن من مهامها أن تشرح ما جاء في كتاب الله وتوضحه وتفسره.

## ثانياً: عوامل نشأة التفسير

من الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهور هذا العلم:

مكانة القرآن الكريم الدينية والدنيوية، إذ أمر سبحانه وتعالى الأمة جمعاء بتلاوته وتدبره، قال تعالى: ﴿قَدْ نَسِيَ آيَاتِ الْآلِ الْاُولَىٰ﴾ [سورة القمر: الآية اثنان وعشرون]، فهو دستورها ومنهجها في الحياة، و به تتوقف سعادتها أو شقاؤها قال تعالى: ﴿قَدْ نَسِيَ آيَاتِ الْاُولَىٰ﴾ [سورة هود: الآية مائة وخمسة].

كما أن المسلمين - في عهده عليه الصلاة والسلام- كانوا على درجة من مختلفة من الفهم، يقول ابن قتيبة: "إنّ العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن من الغريب والمتشابهة، بل إنّ لبعضها الفضل في ذلك على بعض"<sup>1</sup>، فقد روى "أنّ عمر" رضي الله عنه لم يكن يعرف كلمة 'التخوف' في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَسِيَ آيَاتِ الْاُولَىٰ﴾ [سورة النحل: الآية سبعة وأربعون]، حتى أخبره أعرابي من قبيلة 'هذيل' أنّ التخوف معناه التّنقص.

وكذلك عن 'ابن عباس' رضي الله عنه أنّه لم يكن يعرف كلمة 'فاطر' في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَسِيَ آيَاتِ الْاُولَىٰ﴾ [سورة فاطر: الآية الأولى] حتى قال أعرابي أمامه عن بئر له: أنا فطرتها، أي ابتدأتها"<sup>2</sup>.

1 - الشّحات السيّد زغلول : مناهج التفسير، ص:213.

2 - أحمد عبد الغفار: التفسير ومناهجه والنص وتفسيره، ص:23.

كذلك بعض المسلمين لم يتسن لهم أن يشهدوا بعض أسباب النزول، حيث أنّ القرآن كان ينزل على فترات، وعلى مقتضى الواقع والأحداث، إذ معرفة أسباب النزول تساعد على فهم النصّ القرآني، وفيه يقول الواحدي "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وسبب نزولها"<sup>1</sup>، فمعرفة القصص، وسبب النزول، والناسخ والمنسوخ، ... يساعد على فهم كلامه سبحانه وتعالى.

### المطلب الثالث : تطوّر علم التفسير

لا ريب أنّ التفسير مرّ بأطوار كثيرة حتى اتخذ هذه الصورة التي هو عليها اليوم في بطون المؤلفات المختلفة بين المطبوع منها والمخطوط..

**1- عهد الصحابة :** انتقل صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربّه السّنة "الحادي عشر" للهجرة فانتقلت بذلك المهام إلى صحابته رضي الله عنهم، فهم كانوا يفهمون القرآن ودقائق أسرارهِ، لأنهم عاشوا وعاشوا الأحداث والوقائع مع حبيبهم محمد عليه الصّلاة والسّلام فكان منهم القراء، والمفسرون، ... قال ابن قتيبة: " وللصّحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين، فإنهم شهدوا الرّسول والتّنزيل، وعاشوا الرّسول، وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله مما يستدلون به على مرادهم"<sup>2</sup>.

"ومن أشهر هؤلاء : الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير.

أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم: "علي بن أبي طالب" كرم الله وجهه، والرواية عن الثلاثة قليلة جدا، وكان السّبب في ذلك تقدم وفاتهم.

وأجدر هؤلاء بلقب المفسّر هو 'عبد الله بن عباس' الذي شهد له رسول الله ﷺ بالعلم ودعا له بقوله: "اللّهم فقّهه في الدّين وعلمه التّأويل"، وسمّاه ترجمان القرآن.

1 - أبو بكر السيوطي: مقدمة لباب النقول في أسباب النزول، ص: 8.

2 - الشّحات السيّد زغلول: مناهج في التفسير، ص: 223.

ومن الذين ورد عنهم شيء من التفسير من الصحابة غير أولئك العشرة ، أبو هريرة وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، والسيدة عائشة أم المؤمنين، إلا أن ما روي عنهم قليل بالنسبة إلى العشرة السابقين<sup>1</sup>.

والتفسير في هذه المرحلة لم يكن منصبا على جميع القرآن، وإنما على بعضه ولم يكن مدونا، بل كان يعتمد على الرواية الشفهية الممتزجة بالحديث الشريف .

## 2- عهد التابعين : وهم الذين صاحبوا الصحابة رضي الله عنهم، وحملوا عنهم التفسير.

ففي عهدهم عرف تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيرات الرسول ﷺ ، وتفسيرات الصحابة من قبلهم، إضافة إلى اجتهاداتهم.

ونظرا للتطورات الحاصلة في البلاد العربية جرّاء الفتوحات الإسلامية، تغيّرت أحوال الأمة الفكرية والطبيعية، وانتشر بذلك القراء والمفسرون في الأمصار، فانتشر التفسير هو الآخر في مختلف هذه المناطق الإسلامية:

مكة والمدينة، البصرة والكوفة، ... قال ابن قتيبة: " أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاووس وغيرهم، وكذلك أهل الكوفة أصحاب ابن مسعود، وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس<sup>2</sup>.

## 3- عهد تابعي التابعين (عهد التدوين) : وعن التابعين أخذ تابعوا التابعين، فجمعوا أقوال من تقدمهم وصنّفوا التّفسير.

فخلال القرنين الثاني والثالث للهجرة بدأت حركة التدوين للعلوم ، فكان التفسير أولها وأسبقها لذلك؛ لأنه أم العلوم القرآنية لما فيه من التعرض لها في الكثير من المناسبات عند شرح كتاب الله العزيز.

<sup>1</sup> - صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص: 289.

<sup>2</sup> - صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ص: 290.

ومن أوائل الكاتبين في التفسير : "شعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، ثم تلاهم ابن جرير الطبري (ت310هـ)، وكتابه 'جامع البيان عن تأويل آي القرآن' أجل التفاسير وأعظمها لمن بعده"<sup>1</sup>.

## المبحث الثاني: أثر البحث النحوي في نشأة التفسير.

### المطلب الأول: التفسير بالرأي وبداية التفكير النحوي.

النحو في أصله وكذا التفسير، وكل العلوم القرآنية الأخرى من ( فقه، وأسباب نزول وقصص، ... )، نشأت في رحاب القرآن الكريم، خدمة للغته وفهمها، وفهم مقاصدها ومن ثمّ الاهتداء بهديه العزيز القدير، والفوز برضاه جلّ وعلا.

فالقراء اهتموا بكيفية أداء النصّ القرآني نقلا عنه ﷺ، أما المفسرون فاهتموا ببيان ألفاظه وتراكيبه، في حين اهتم النحاة ببيان الأوجه الفصيحة للمفردات والتراكيب حتى لا يزيغ الناس في قراءاتهم.... الخ من العلوم الأخرى.

فكانت جهود هؤلاء العلماء كل في ميدانه خدمة لهذا الدين من خلال كشف معانيه يقول الدكتور "رمضان عبد التواب" "كان القرآن هو المحور الذي دارت حوله تلك الدراسات المختلفة سواء منها تلك الدراسات التي تتعلق تعلقا مباشرا بتفسير القرآن، وتوضيح آياته، وتبيين معناه واستنباط أحكام الشريعة منه، أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعا بالبحث في دلالة اللفظ واشتقاق الصيغ وتركيب الجمل والأسلوب والصّور الكلامية واختلافها باختلاف المقام ... كل هذه الدراسات قامت أساسا لخدمة الدين الإسلامي، لغرض فهم القرآن الكريم مصدر الشريعة الإسلامي ودستور المسلمين"<sup>2</sup>

## 1- النحو وكتب "معاني القرآن":

سبق وأن ذكرنا أنّ التفسير كان له حق الأسبقية في الظهور على يده -صلى الله عليه وسلم- صاحب الرسالة- فكان الشّارح والكاشف الأوّل لمعاني القرآن الكريم مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿

<sup>1</sup> - الزّر قاني: مناهل العرفان، ج 1، ص: 23.

<sup>2</sup> - الخالدي: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص: 18.

﴿ [ سورة النحل: الآية أربعة وأربعون ] ﴾

من هذا المنطلق -كشف معاني القرآن- بدأت أولى ملامح البحث اللغوي في ظل التفسير، والقراءات القرآنية منذ قيام أبي الأسود بتنقيط المصحف الشريف، ثم أخذت هذه الأعمال اللغوية تنمو وتتطور حتى الصورة التي هي عليها اليوم.

فألقت حينها أولى وأشهر الكتب في "معاني القرآن" نتيجة هذه الدراسات اللغوية ألا وهي:

\*"معاني القرآن" لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207).

\*"مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت 210).

\*"معاني القرآن" للأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي (ت 215).

\*"معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق الزجاج ... وغيرهم<sup>1</sup>

فكان لها الأثر الكبير في الدراسات التي جاءت بعدها، ونحرا لإثراء المادة العلمية لكثير من العلوم، وخصوصا تلك المتعلقة بعلم التفسير.

النحو-إذن- بدأ من منطلق عظيم ومن سعي عظيم هو فهم معاني القرآن الكريم ومعرفة أساليب التعبير عن تلك المعاني، والكشف عن أسرار بلاغته ووجوه إعجازه.

وعلماء العربية "اهتموا بالمعنى ودلالاته مبكرا وتجلى ذلك بشكل واضح في بحوثهم اللغوية والنحوية وفيما صنّفوه من كتب في معاني القرآن ومجازه إعرابه، وفيما وضعوه من معجمات لتفسير معاني الألفاظ، وفيما ألفوه من كتب لتفسير القرآن وبيان وجوه معاني القراءات ودراسة الوجوه والنظائر"<sup>2</sup>.

"فلم يكن النحو عندهم مجرد نظام متكامل من الرموز والعلامات التي تدل دلالات لفظية ومعنوية على المعنى الذي ينوي التعبير عنه ( ... ) بل هو رموز لمعان ودلالات

1 - ينظر: إبراهيم عبد الله ربيعة، النحو وكتب التفسير، ج1، ص: 109.

2 - الخالدي: نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص: 17.

مختلفة يتم التعبير عنها بتغيير هذه الرموز، سواء في اللفظ المفرد أو التركيب، فلم تكن إذن الألفاظ عندهم هي المقصودة، بل هي أدوات للتعبير عن المعاني التي يقصدونها<sup>1</sup>.

وفي هذا سبيل الإعراب، إذ هو مفتاح هاته المعاني على حد تعبير الإمام "عبد القاهر الجرجاني" الموصل إلى فهم القرآن الكريم، ومعرفة معانيه وكشف أسرارهِ وإعجازه، إذ بمجرد تغيير الحركة الإعرابية يتغير المعنى<sup>2</sup>.

فاستقطبت بذلك دراسة الإعراب اهتمام النحاة والمفسرين ومختلف العلماء في الميادين العلمية الأخرى؛ لأن النحو عمادها وأساسها في كشفه للمعاني.

فالبحت عن المعاني يعد قمة الدراسات النحوية وفلسفتها ونظرية "النظم" للعلامة "عبد القاهر الجرجاني" خير دليل.

## 2- النحو والتفسير بالرأي:

جاء في حديثنا مما تقدم من مباحث أن التفسير قسمان: تفسير بالمأثور وتفسير بالرأي. هذا الأخير الذي عمد فيه المفسرون مناحي ومناهج مختلفة كل حسب طابعه الغالب في التفكير كاشفا لمعاني آي القرآن الكريم، فكانت بذلك أولى البدايات مع "المنهج اللغوي" الذي عدّه الدكتور 'إبراهيم عبد الله رفيده' منهج النحويين الذي لا يستغنى عنه، إذ هو طريق فهم النصّ ووسيلة المفسرين للوصول إلى هاته الغاية؛ لأنه بديل السليقة التي كان يتمتع بها المفسرون الأوائل قبل فسادها.

يقول: "فلا غرابة إذن أن يكون -النحو- هو أداة طريق نشأة التفسير بالرأي، الذي يعتمد إلى النصّ مباشرة لفهمه وبيان ما يحتمله من وجوه، على شرط :

\*التزام المفسر بحقائق اللغة وأساليب العرب في خطابها دون شذوذ.

\*مراعاة الآثار ومذاهب السلف الصالح في التأويل<sup>3</sup>.

1 - الخالدي: المرجع نفسه، ص: 22.

2 - ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 38.

3 - إبراهيم عبد الله رفيده: النحو وكتب التفسير، ج1، ص: 552.

وقد تجلّى ذلك في تفسير الإمام 'ابن جرير الطبري' -جامع البيان عن تأويل آي القرآن- الذي شهد له الكثير من العلماء بأنه أجلّ التّفاسير وأعظمها؛ لأنه أوّل من عرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، كما عرض للإعراب والاستنباط، وبقيت العناية بالتّفسير قائمة إلى عصرنا هذا.

وفي نحوه -التفسير بالرّي- أبان الإمام الطّبري أن الجهل في القرآن جهل بالدّين وأحكامه، وجهل لما فيه من عبر وعظات ... .

وقد عجب من أولئك الذين يتحرّجون من تفسيره مستدلاً بنوعين من الأدلة: أحدها ما جرى عليه الصّحابة من نحو: قول 'سعيد بن جبير': "من قرأ القرآن ثم لم يفسّره كان كالأعمى"<sup>1</sup>.

والآخر عقلي: بناه على أنّ القرآن أنزل ليفهمه المسلمون ويتدبّرونه ويتعظّوا به، ويأتّمروا بأمره وينتهوا بنهيّه. وليس شيء من هذا ممكن إلاّ إذا أدركوا معانيه وفسروا آياته؛ لأن الأمر بغير مفهوم محال مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى لنبيه:

﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ لِنَفْسِنَاهُ مَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْهُ عِلْمٌ شَيْءًا مِّنْهُ لِيُنذِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة ص: الآية تسعة وعشرون].

فكان تفسيره للقرآن المجيد معتمدا على أقوال الصّحابة والتّابعين وعلى آراء النّحاة من الكوفيين والبصريّين، وعلى أساليب العرب وبيان أشعارهم، ونثرهم، ثم على وجوه القراءات والكلام في النّاسخ والمنسوخ والأحكام والخلاف فيها ...<sup>2</sup>.

وكانت مصادر التّفسير عنده مرتكزة على مصدرين أساسيين هما :

أ-الأحاديث والآثار المروية في التّفسير الأثري والكتب المؤلّفة فيه، مثل: المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعن قتادة بن دعامة ... ، وغيرهم وقد كان شديد الدقّة في الإسناد لهذه المرويّات.

<sup>1</sup> - رابع دوب: البلاغة عند المفسّرين، ص: 248.

<sup>2</sup> - ينظر: رابع دوب، المرجع نفسه، ص: 249.

ب- كتب "معاني القرآن": وفيها قال 'ياقوت الحموي': "وذكر فيه - (أي في تفسيره - الطبري-) - مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي ومن كتاب يحي بن زياد الفراء ومن كتاب أبي الحسن الأخفش ومن كتاب أبي علي قطرب، وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه، إذ هؤلاء هم المتكلمون في المعاني وعنهم يأخذ معانيه وإعرابه، وربما لم يسمهم إذا ذكر شيئاً من كلامهم"<sup>1</sup>.

وقد عرض الإمام الطبري في مقدمة تفسيره هذا، أن التفسير عنده مبني على ثلاثة أوجه هي:

\* أحدهما لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

\* والوجه الثاني: ما خص الله بعلم تأويله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته.

\* والوجه الثالث: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه.

وبهذا كانت كتب "معاني القرآن" خطوة تحوّل في تاريخ التفسير من التفسير بالآثار إلى التفسير العقلي، فهيأت للمفسر أوّل الطريق في الاستنباط والاجتهاد، بمساعدة العلوم الإسلامية الأخرى السبيل للوصول إلى الشكل المتكامل للتفسير، ومنها تفسير الإمام الطبري<sup>2</sup>.

وعليه نجمع القول :

بأنّ فهم نصوص القرآن وتفسير معانيه كان دافعا لظهور الدّراسات النّحوية وغيرها من الدّراسات اللّغوية الأخرى، فاعتمد المفسر لذلك النّحو وسيلة تعين على فهم القرآن الكريم لما فيه من بيان للمعاني، حيث كان لاختلاف القراءات القرآنية الأثر في اختلاف مواقف النّحاة في استظهار هاته المعاني.

**المطلب الثاني: مراحل التفكير النحوي في كتب التفسير**

قسّمها الدكتور "إبراهيم عبد الله رفيده" إلى ست مراحل هي:

<sup>1</sup> - إبراهيم عبد الله رفيده: النّحو وكتب التفسير، ج1، ص: 547.

<sup>2</sup> - ينظر: إبراهيم عبد الله رفيده، المرجع نفسه، ص: 548.



## المرحلة الأولى:

ومثلها النحويون مؤلفوا كتب "معاني القرآن" ومؤلفاتهم، فهي المرحلة الأولى للتفكير النحوي في كتب التفسير وعلاقة النحو بالقرآن الكريم .

مؤلفوها هم من أئمة النحو الأوائل الذين بنى عليهم اللاحقون من المفسرين الذين اهتموا بالبحوث النحوية والقراءات القرآنية تفاسيرهم .

فكانت إما ابتكارا وتجديدا وتنمية، وإما نقلا واعتمادا.

## المرحلة الثانية:

تمتاز هذه المرحلة بأصالة التفكير النحوي وتنمية المرحلة الأولى والبناء عليها والأخذ منها مباشرة، كما تمتاز في جموع رجالها بأصالة المنهج اللغوي في التفسير والتطور به إلى مداه على يد خاتمتها -الإمام الزمخشري- وهي مرحلة تتداخل في أوائلها -بالمرحلة الأولى- وفي أواخرها بالمرحلة الثالثة، كما تمتاز بأن كثيرا من رجالها هم من أئمة النحو الذين كانت أقوالهم واجتهاداتهم في ميدان الدراسة النحوية رافدا قويا ومعينا للمراحل اللاحقة إلى جانب رجال المرحلة الأولى.

من أبرز رجالها الذين عنوا في تفسيرهم بالبحوث النحوية:

- "أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ).

- محمد بن الحسن بن زياد، أبو بكر النقاش (ت 351هـ).

- علي بن عيسى الرّماني (ت 384هـ).

- علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفي المصري (ت 430هـ).

- أحمد بن عمار أبو العباس المهدي التونسي (ت 430هـ).

- علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري (ت 468هـ).

- محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشري (ت 538هـ)<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - إبراهيم عبد الله رفيده: النحو وكتب التفسير، ج1، ص: 564.

## المرحلة الثالثة:

في هذه المرحلة ظهر أئمة كبار في التفسير، تعتبر تفاسير بعضهم موسوعات علمية شاملة لكثير من ألوان المعارف الإسلامية والعربية والعقلية، مما غلب عليها لون معين من هذه المعارف -وخصوصا الشرعية والعقلية-، وليس فيها ما يغلب عليه الصيغة النحوية أو يعتبر مؤلفه من أئمة النحو البارزين في هذا التخصص، كما هو الحال لبعض رجال المرحلة الثانية.

وما ميّز هذه المرحلة اعتماد رجالها على المرحلتين السابقتين، فكانت تفاسيرهم ذات اتجاه شامل تتنوع فيه هذه المعارف، وتأخذ من البحث النحوي بطرف -قد يكون واسعا- بيد أنه مبني على جهود السابقين.

ولا يملك الباحث هنا إلا أن يعتبر الإمام الزمخشري في تفسير 'الكشاف' نهاية مرحلة وما بعده مرحلة جديدة للاختلاف البين بينه وبين رجال هذه المرحلة.

'الكشاف' استمرار للمنهج اللغوي الأدبي ونقطة بارزة في طرفه الأعلى.

وفيه أشار 'الشهاب الخفاجي' فقال: " . . . ثم استفاض التأليف حتى انتهى للزجاج والرّماني ومنها أخذ الزمخشري ثم جاء بعدهم من كثر السواد بأقوال الحكماء والصّوفية كالرّازي حتى قيل: في تفسيره كل شيء إلا التفسير"<sup>1</sup>.

وهذه المرحلة مرحلة واسعة وأئمة التفسير فيها كثيرون من أبرزهم:

- أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي (ت 546هـ).
- أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي الشيعي (ت 561هـ).
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي فخر الدين الرّازي (ت 606هـ).
- أبو عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت 671هـ).
- أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن حسين موفق الدين أبو العباس الكواشي الموصلبي (ت 680هـ).

<sup>1</sup> - إبراهيم عبد الله رفيدة: المرجع نفسه، ص: 565.

- ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي (ت 685هـ).  
- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت 710هـ)<sup>1</sup>.

### المرحلة الرابعة:

تقوم هذه المرحلة أساسا على الإمام أبي حيان الأندلسي في تفسيره 'البحر المحيط' وبعض معاصريه وتلاميذه.

فكان تفسيره دليل إلى العودة إلى 'المنهج اللغوي' مقارنة بالمرحلة السابقة -الثالثة- حيث تميز هذا التفسير بحشد أقوال أئمة النحو الكبار، والاختيار والترجيح، وجمع القراءات والاحتجاج لها والدفاع عنها.

فأحدث تفسيره بذلك حركة في ميدان الدراسات النحوية القرآنية حيث ألف بعض تلاميذه كتباً في 'إعراب القرآن' تلخيصاً منه، وبعضهم لخص منه تفسيراً.

كما تميزت هذه المرحلة أيضاً بظهور اتجاه جديد، وهو مراجعة كتب التفسير السابقة وخصوصاً تفسير "الكشاف". ومن هؤلاء المفسرين البارزين في هاته المرحلة :

- عماد الدين أبو الحسين بن أبي بكر المالكي النحوي السكندري (ت 741 هـ).  
- أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ).  
- تاج الدين أبو محمد أحمد أبو بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي النحوي (ت 749 هـ)<sup>2</sup>.

### المرحلة الخامسة :

هذه المرحلة هي امتداد للمرحلة السابقة إن صحّ التعبير وخصوصاً المرحلتين الثالثة والرابعة، إذ تعبّر عن الإتيان والتقليد بالاختصار والجمع، وتتميز بأسلوب الحواشي والدوران حول تفاسير السابقين وخاصة الكشاف وتفسير البيضاوي والنسفي.

<sup>1</sup> - إبراهيم عبد الله رفيدة : النحو وكتب التفسير، ج1، ص: 565.

<sup>2</sup> - إبراهيم عبد الله رفيدة : النحو وكتب التفسير، ج1، ص: 566.

وهي مرحلة جد واسعة تداخلت والمرحلة السادسة ممثلة 'العصر الحديث'، إذ أنّ نظام التحشية استمر إلى عهد قريب.

وقد ظهر فيها أئمة كبار منهم :

- شهاب الدّين أحمد بن محمد السيواسي (ت 803هـ).

- جلال الدّين محمد بن أحمد المحلى (ت 864هـ)، وجمال الدّين عبد الرّحمن السيوطي (ت 911هـ)<sup>1</sup>.

- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (ت 875هـ).

- أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي (ت 963هـ).

- محمد الخطيب الشربيني (ت 977هـ).

- أبو السّعود محمد بن محمد العمادي (ت 982هـ).

- أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالكرخي (ت 1006هـ).

- أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدّين الخفاجي (ت 1069هـ).

- سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمال (ت 1204هـ)<sup>2</sup>.

#### المرحلة السادسة :

هي المرحلة الأخيرة في مراحل النّحو والتّفسير، ليست بمنفصلة عن سابقتها.

ظهرت فيها نزعة إلى التجديد والإحياء مما يجعلها ممثلة العصر الحديث ويستطيع الباحث فيها حصر موقف المفسرين من البحوث النّحوية في كتب التّفسير في اتجاهين اثنين هما :

أ- "موقف الإحياء والعودة إلى مناهج النّحويين السّابقين وأقوالهم بالأخذ منها والترجيح بها، بأسلوب مشرق قوي.

1 - إبراهيم عبد الله رفيدة : المرجع نفسه، ص: 566.

2 - إبراهيم عبد الله رفيدة : النّحو وكتب التّفسير، ج 1 ، ص: 567.

ب-موقف النقد والنفور من ذكر مسائل النحو والإعراب في كتب التفسير<sup>1</sup>.

من أشهر مفسريها :

- محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت 1250هـ).
- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت 1270هـ).
- محمد عبده (ت 1323هـ).
- محمد جمال الدين القاسمي (ت 1332هـ).
- أحمد مصطفى المراغي (ت 1365هـ)<sup>2</sup>

### المطلب الثالث: شروط التفسير بالرأي وموقع النحو منها

اشترط العلماء حتى يكون التفسير العقلي جائزا مجموعة من العلوم يجب توفرها لدى المفسر في هذا اللون، وامتكنا منها بدقائقها وهي:

\***العلوم اللسانية**: وهي بإجمال: اللغة، الاشتقاق، الصرف، النحو، المعاني، البيان، البديع.

\***العلوم القرآنية** : وهي: أصول الفقه، أصول الدين، علم القراءات، الناسخ والمنسوخ الفقه، أسباب النزول والقصص التي لها تعلق بآيات القرآن الكريم، أحاديث التفسير.

\***إضافة إلى علم الموهبة** وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم وإليه الإشارة بحديث : " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم".

لقد اشترط العلماء إذن العلم باللغة وآدابها وعلومها للمفسر واعتبروا العلوم اللسانية ضرورية للعلوم الإسلامية؛ لأن التفسير الصحيح لا يمكن بدونها، فجعلوا معرفة النحو العربي من الشروط الأساسية للمجتهد في الفقه الإسلامي.

وفي هذا المعنى يقرر 'ابن خلدون' في مقدمته "أن أركان العلوم اللسانية أربعة وهي: اللغة، والنحو، والبيان، والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة (. . .)، والذي يتحصل أن الأهمّ المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة ..."<sup>3</sup>.

1 - إبراهيم عبد الله رفيده : المرجع نفسه ، ص : 567.

2 - إبراهيم عبد الله رفيده: المرجع نفسه، ص : 568.

3 - ابن خلدون : المقدمة، ص : 597.

فلاشك إذن في تقدم النحو عن سائر هاته العلوم كلها لأنه: عماد العلوم القرآنية والعربية في مختلف أنواعها وفروعها، إذ نشأ في ظل علم التفسير، والقراءات القرآنية، وما دام كذلك فإن الإعراب خلاصته، يقول 'محمد إبراهيم سليم': "إذا كان علم النحو هو عماد العلوم القرآنية فإن الإعراب خلاصته، ولا يملك زمام النحو متعلم إلا إذا ملك الإعراب وإلا وقف عند حد الاستظهار ولم يتجاوزه إلى التطبيق"<sup>1</sup>.

فالعلماء أوجبوا على المفسر تعلم الإعراب حتى يتمكن من معرفة الحكم الصحيح، وفيه يرى العلامة الزمخشري "أن الإعراب ضروري ومهم جدا فهو يتدخل في الفقه والتفسير

وعلم الأخبار (...) وينصح بضرورة الإلمام بقواعده لمن أراد أن يخوض في سائر الأبواب"<sup>2</sup>.

كما أوجبوه على القارئ أيضا ليسلم من اللحن في قراءته للآيات القرآنية إذ الملاحظ عن هؤلاء المفسرين والنحاة هم في الواقع من القراء أو من تلاميذهم .

وفي هذا يرى الإمام الطبري أن المفسر يجب أن يكون راسخ العلم في شيئين:

أ- السيرة النبوية والأحاديث الثابتة الصحيحة والآثار المتعلقة ببيان القرآن الكريم وتفسيره

ب- اللسان العربي بمفهومه اللغوي الأدبي الشامل"<sup>3</sup>.

في حين يقرر الإمام 'عبد القاهر الجرجاني' هو الآخر عن ضرورة علم النحو بالنسبة للمفسر فيقول: "إنّ عملية التفسير أو (التأويل) تستلزم معرفة عميقة بقوانين النحو وأحكامه وحس لغوي ودرسه بدرية وروية وذوق ... ولذا فإنها تجمع بين عناصر موضوعية وذاتية. وهكذا يكمن الكشف عن سرّ الإعجاز في تلاقي الكفاءة التأويلية للمفسر مع القدرة الإبداعية للمتكلم، ويكون النصّ اللغوي هو المعبر الوحيد للوصول إلى تلك الغاية"<sup>4</sup>.

1 - ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص : 5.

2 - سالم نادر عطية: الزمخشري وجهوده في النحو، ص: 225.

3 - إبراهيم عبد الله رفيده: النحو وكتب التفسير، ج1، ص: 557.

4 - سعيد حسين بحيري: القصد والتفسير في نظرية النظم (معاني النحو) عند عبد القاهر الجرجاني، ص: 47.

لهذا كان النحو وسيلة لفهم النص القرآني وإدراك معانيه، ولهذا عدّ العلماء التفسير أم العلوم القرآنية لحضور مختلف هاته العلوم في كثير من المناسبات عند شروح كتاب الله العزيز، وخصوصاً "النحو".

### المبحث الثالث: التقعيد النحوي (مفهومه، مصادره).

إن الجهل باللغة العربية هو جهل بكتاب الله العزيز القدير، وحديث رسول الكريم عليه الصلاة وأزكى السّلام.

لهذا اعتنى سلفنا الصّالح -رحمهم الله- بهاته اللّغة المعجزة وأنشأوا لها العلوم والقواعد ضبطاً لها من التحريف والفساد على ألسنة العباد.

#### المطلب الأول: مفهوم التقعيد.

1-التقعيد في اللغة: "التقعيد: مصدر الفعل 'قعد'، ومنه: قعدَ عن الأمر، أي تركه وقعد له: اهتم به"<sup>1</sup>.

"والقاعدة: أصل الأسّ، والقواعدُ: الأساسُ، وقواعد البيت إساسُهُ وفي التنزيل: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل. وفيه : وأتي الله بنيانهم من قواعد. قال الزجاج: القواعد: أساطين البناء التي تعمده"<sup>2</sup>.

2-التقعيد في الاصطلاح: التقعيد علم يرمي إلى قواعد نحوية، أو هو عملية ذهنية تهدف إلى استنباط القواعد الضابطة للغة عن طريق تحديد الأحكام الإعرابية رفعا ونصبا وجرأً وجزماً وإعراباً وبناءً، تقديماً وتأخيراً، وحذفاً وذكرأً . . . إلى غير ذلك من الظواهر اللغوية.

" فالمبحث النحوي هدف منذ نشأته إلى التقعيد لظواهر اللّغة مبتدئاً بالتقنين لأبرز الظواهر التي لفتت أنظار الباحثين فيه، وهي ظاهرة "التصرف الإعرابي"، ثم ما لبث أن امتدت محاولات التقنين لتشمل بقية الظواهر التركيبية التي أدركوها، تلك التي ميزت اللّغة العربية وحددت بوضوح خصائصها.

<sup>1</sup> -الزمخشري: أساس البلاغة، ج2، ص: 90.

<sup>2</sup> -ابن منظور: لسان العرب، مادة (قعد)، ج3، ص: 361.

وكان التّقييد لظواهر اللّغة يتوخى تحقيق الهدفين الأساسيين لنشأة الدّراسات النّحوية وهما: حفظ القرآن وصونه عن الخطأ، ثم تيسير تعلم اللّغة العربية لمن يريد ذلك من الأعاجم الذين بسطت الدولة الإسلامية عليهم سلطانها<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: مصادر التّقييد النّحوي.

وتشمل: " الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصّحيح الخارج عن حدّ القلة إلى حدّ الكثرة، فخرج عنه إذن ما جاء في كلام غير العرب من المولّدين، وما شدّ من كلامهم"<sup>2</sup>.

وهي: "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمّل كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه، وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولّدين نظماً ونثراً عن مسلم أو كافر، فهذه ثلاثة أنواع لا بد في كلّ منها من الثبوت"<sup>3</sup>.

ومنه فمصادر التّقييد ثلاث وهي:

1- القرآن الكريم: كلام الله عزّ وجل ورسالته الخالدة، وهو: "النّص الشمولي الكلّي الموحد المتجانس الذي أجمعت الأمة من السّلف على أنّه كلام الله المنتظم من حروف وأصوات والمؤلّف من سور وآيات، والمقروء باللسان العربي، المحفوظ في الصّدور، المسطور في المصحف، الملموس بالأيدي، والمسموع بالأذان، والمنظور بالأعين"<sup>4</sup>.

فهو المصدر الرئيس والأساس في التّقييد للّغة، وهو أعظم وأوثق وأصح النصوص الأدبية واللّغوية الذي عرفته البشرية، وعجزت أن تأتي بمثله، نزل بلسان عربي، وعلى سبعة أحرف تيسيراً للأمة -على اختلاف لهجاتها- حتى يتسنى لهم فهمه وحفظه وتعلمه وإدراك معانيه على مرّ الأزمنة والعصور إلى يوم لا ريب فيه، قال صلى الله عليه وسلم: "إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه"<sup>5</sup>.

1 - على أبو المكارم: أصول التفكير النّحوي، ص: 149.

2 - محمد عبد الله قاسم: الأصول النّحوية والصرفية، ج1، ص: 359.

3 - محمد عبد الله قاسم: المرجع نفسه، ص: 359.

4 - محمد عبد الله قاسم: المرجع نفسه، ص: 360.

5 - محمد مسعود علي حسن عيسى: أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي، ص: 9.



أما قراءاته والتي هي: " علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزوّ الناقلّة"<sup>1</sup>، كما عرفها ابن الجزري.

فقد كان لوجه الاختلاف فيها الأثر البارز في وضع القواعد النحوية لضبط اللّغة، وسنوضح ذلك فيما بعد.

2- الحديث الشريف: هو مصدر التشريع الثاني بعد كتاب الله عزّ وجلّ على لسانه العربي الفصيح صلى الله عليه وسلم، قال عليه الصلّاة والسّلام "أنا أفصح العرب، ..."<sup>2</sup>.

المبلغ عن ربه، قال تعالى: ﴿ ③ ◆ ① \* ② ◆ ③ ◆ ④ ◆ ⑤ ◆ ⑥ ◆ ⑦ ◆ ⑧ ◆ ⑨ ◆ ⑩ ◆ ⑪ ◆ ⑫ ◆ ⑬ ◆ ⑭ ◆ ⑮ ◆ ⑯ ◆ ⑰ ◆ ⑱ ◆ ⑲ ◆ ⑳ ◆ ㉑ ◆ ㉒ ◆ ㉓ ◆ ㉔ ◆ ㉕ ◆ ㉖ ◆ ㉗ ◆ ㉘ ◆ ㉙ ◆ ㉚ ◆ ㉛ ◆ ㉜ ◆ ㉝ ◆ ㉞ ◆ ㉟ ◆ ㊀ ◆ ㊁ ◆ ㊂ ◆ ㊃ ◆ ㊄ ◆ ㊅ ◆ ㊆ ◆ ㊇ ◆ ㊈ ◆ ㊉ ◆ ㊐ ◆ ㊑ ◆ ㊒ ◆ ㊓ ◆ ㊔ ◆ ㊕ ◆ ㊖ ◆ ㊗ ◆ ㊘ ◆ ㊙ ◆ ㊚ ◆ ㊛ ◆ ㊜ ◆ ㊝ ◆ ㊞ ◆ ㊟ ◆ ㊠ ◆ ㊡ ◆ ㊢ ◆ ㊣ ◆ ㊤ ◆ ㊦ ◆ ㊧ ◆ ㊨ ◆ ㊩ ◆ ㊪ ◆ ㊫ ◆ ㊬ ◆ ㊭ ◆ ㊮ ◆ ㊯ ◆ ㊰ ◆ ㊱ ◆ ㊲ ◆ ㊳ ◆ ㊴ ◆ ㊵ ◆ ㊶ ◆ ㊷ ◆ ㊸ ◆ ㊹ ◆ ㊺ ◆ ㊻ ◆ ㊼ ◆ ㊽ ◆ ㊾ ◆ ㊿ ﴾ [ سورة المائدة: الآية سبعة وستون ]، تبياناً لمراده سبحانه وتعالى فيما أنزل، قال عزّ وجلّ: ﴿ ③ ◆ ① \* ② ◆ ③ ◆ ④ ◆ ⑤ ◆ ⑥ ◆ ⑦ ◆ ⑧ ◆ ⑨ ◆ ⑩ ◆ ⑪ ◆ ⑫ ◆ ⑬ ◆ ⑭ ◆ ⑮ ◆ ⑯ ◆ ⑰ ◆ ⑱ ◆ ⑲ ◆ ⑳ ◆ ㉑ ◆ ㉒ ◆ ㉓ ◆ ㉔ ◆ ㉕ ◆ ㉖ ◆ ㉗ ◆ ㉘ ◆ ㉙ ◆ ㉚ ◆ ㉛ ◆ ㉜ ◆ ㉝ ◆ ㉞ ◆ ㉟ ◆ ㊀ ◆ ㊁ ◆ ㊂ ◆ ㊃ ◆ ㊄ ◆ ㊅ ◆ ㊆ ◆ ㊇ ◆ ㊈ ◆ ㊉ ◆ ㊐ ◆ ㊑ ◆ ㊒ ◆ ㊓ ◆ ㊔ ◆ ㊕ ◆ ㊖ ◆ ㊗ ◆ ㊘ ◆ ㊙ ◆ ㊚ ◆ ㊛ ◆ ㊜ ◆ ㊝ ◆ ㊞ ◆ ㊟ ◆ ㊠ ◆ ㊡ ◆ ㊢ ◆ ㊣ ◆ ㊤ ◆ ㊦ ◆ ㊧ ◆ ㊨ ◆ ㊩ ◆ ㊪ ◆ ㊫ ◆ ㊬ ◆ ㊭ ◆ ㊮ ◆ ㊯ ◆ ㊰ ◆ ㊱ ◆ ㊲ ◆ ㊳ ◆ ㊴ ◆ ㊵ ◆ ㊶ ◆ ㊷ ◆ ㊸ ◆ ㊹ ◆ ㊺ ◆ ㊻ ◆ ㊼ ◆ ㊽ ◆ ㊾ ◆ ㊿ ﴾ [سورة النحل: الآية أربعة وأربعون].

وقال أيضاً: ﴿ ③ ◆ ① \* ② ◆ ③ ◆ ④ ◆ ⑤ ◆ ⑥ ◆ ⑦ ◆ ⑧ ◆ ⑨ ◆ ⑩ ◆ ⑪ ◆ ⑫ ◆ ⑬ ◆ ⑭ ◆ ⑮ ◆ ⑯ ◆ ⑰ ◆ ⑱ ◆ ⑲ ◆ ⑳ ◆ ㉑ ◆ ㉒ ◆ ㉓ ◆ ㉔ ◆ ㉕ ◆ ㉖ ◆ ㉗ ◆ ㉘ ◆ ㉙ ◆ ㉚ ◆ ㉛ ◆ ㉜ ◆ ㉝ ◆ ㉞ ◆ ㉟ ◆ ㊀ ◆ ㊁ ◆ ㊂ ◆ ㊃ ◆ ㊄ ◆ ㊅ ◆ ㊆ ◆ ㊇ ◆ ㊈ ◆ ㊉ ◆ ㊐ ◆ ㊑ ◆ ㊒ ◆ ㊓ ◆ ㊔ ◆ ㊕ ◆ ㊖ ◆ ㊗ ◆ ㊘ ◆ ㊙ ◆ ㊚ ◆ ㊛ ◆ ㊜ ◆ ㊝ ◆ ㊞ ◆ ㊟ ◆ ㊠ ◆ ㊡ ◆ ㊢ ◆ ㊣ ◆ ㊤ ◆ ㊦ ◆ ㊧ ◆ ㊨ ◆ ㊩ ◆ ㊪ ◆ ㊫ ◆ ㊬ ◆ ㊭ ◆ ㊮ ◆ ㊯ ◆ ㊰ ◆ ㊱ ◆ ㊲ ◆ ㊳ ◆ ㊴ ◆ ㊵ ◆ ㊶ ◆ ㊷ ◆ ㊸ ◆ ㊹ ◆ ㊺ ◆ ㊻ ◆ ㊼ ◆ ㊽ ◆ ㊾ ◆ ㊿ ﴾ [ سورة الأحزاب: الآية واحد وعشرون ]<sup>3</sup>.

فالحديث الشريف مصدر التقعيد الثاني بعد كلام الله تعالى.

### موقف النّحاة منه:

على الرّغم من علو منزلة الحديث الشريف إلا أن النّحاة -وخصوصاً القدامى منهم- كانوا قليلي الاعتماد عليه في بناء القواعد والأحكام النحوية. من هذا كان موقفهم منه على ثلاثة أوجه:

\*المانعون الاستشهاد به كأبي حيان، والحسن بن الضائع، والسيوطي.

<sup>1</sup> - محمد سالم صالح: أصول النحو، ص: 166.

<sup>2</sup> - مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 268.

<sup>3</sup> - ينظر: صحيح البخاري، ج1، ص: 5.

\*المتوسطون بين المنع والجواز، ومنهم أبي الحسن الشاطبي.

\*الموجزون الاستشهاد به، وكانوا الأوائل في رصد الأحاديث النبوية الشريفة في عملية التّفعيد النّحوي، ومنهم علي وجه الخصوص: ابن مالك، وابن هشام، إضافة إلى الإمام الزّمخشري، وابن خروف، وكانوا السّباقيين لذلك.

أما سبب انصراف النّحاة في القسمين الأول والثاني عن الاستشهاد بالحديث فمرده إلى:

-أن الحديث فيه ما روي بالمعنى، ولأن بعض رواته ليسوا من العرب.

-التحرّز الدّيني من هذه النصوص المقدسة، ما جعلهم يأخذون بالشعر على الأكثر؛ لأنه كلام بشر.

" وقد عبّ الدّارسون على بعض هؤلاء على ذلك -التحرّز الدّيني- لما رأوه من واقع عملي للنّحاة تجاه هذه القراءات، إذ كانوا يقلّبون تراكيب الآيات على مختلف الأوجه الإعرابية الممكنة، وقالوا: أين التحرّز الدّيني من هذا"<sup>1</sup>.

### 3- كلام العرب (شعره ونثره)

أ-الشعر: أما الشعر فـ 'ديوان العرب'، حافظ أمجادها وتاريخها، له من الأثر الكبير والدور الفعال في استنباط القواعد والتّفعيد للغة والاستشهاد به، وفيه قول العلامة 'ابن خلدون': " واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم"<sup>2</sup>.

\*موقف النّحاة منه: أخذوا بالشعر الجاهلي من نحو: امرئ القيس، وطرفة بن العبد والأعشى، وممن أدركوا الجاهلية والإسلام أمثال: لبيد وحسان بن ثابت .

أما شعر الفترة الإسلامية فاختلّفوا فيه، منهم من استشهد به، ومنهم من رفضه ومن هؤلاء الشعراء: الفرزدق، وجريير، والأخطل، وغيرهم.

1 - محمد عيد : الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ص : 106.

2 - ابن خلدون : المقدمة، ص: 622.

أما شعر المولّدين من أمثال : "بشار بن برد، وأبي نواس، وأبي تمام، فرفضوه بالبتة، إلا بعضهم ممن تجرّأ على اللّغة ورأى فيه صواباً"<sup>1</sup>.

ب-النّثر: أما النّثر فقد شمل أقوال العرب من حكم وأمثال، وقد كان الاستشهاد به قليلاً قياساً بالشعر، لأن الشعر كانت العرب ترى فيه أرقى النصوص البلاغية الفصيحة.

ولنا في النّمودج التالي (نواصب الفعل المضارع) مثال:

" يقول 'الخطيئة':

ألم أكُ جاركم ويكون بيني وبينكم المودّة والإخاء؟.

اللّغة: جاركم: يطلق الجار في العربية على عدّة معان منها المجير والمستجير والحليف والناصر. الإخاء: المحبة والود.

المعنى: الشاعر يريد أن يقول : ألم أكُ بيني وبينكم حرمة فلا ينبغي أن يساء إليّ.

القاعدة: يستشهد النّحاة بقوله: "ويكون" حيث نصب الفعل المضارع بأن المضمرة وجوبا بعد واو المعية في جواب الاستفهام.

وبذلك يتضح لنا أثر هذا البيت الذي جاء في شعر الخطيئة في إثبات وجوب نصب الفعل المضارع بعد أن المضمرة بعد واو المعية"<sup>2</sup>.

فالشعر إذن أصل من أصول اللغة العربية له من الأهمية البالغة في وضع أسس اللغة وقواعدها.

**المطلب الثالث: مكانة القرآن الكريم في التقعيد النحوي**

القرآن الكريم، كلام الله تعالى، أفصح الكلام وأبلغه، الكلام العربي المعجز في لفظه وتراكيبه، وأساليبه ونظمه.

له في قراءاته المختلفة الدور الأساس في إرساء قواعد هاته اللّغة العظيمة خدمة وصونا لكتابه الشّريف من التّحريف، وخصوصاً في زمن ضعفت فيه السلائق العربية.

<sup>1</sup> - محمد عبد الله قاسم: الأصول النحوية والصرفية، ج1، ص: 424.

<sup>2</sup> - سليمان محمد سليمان : أثر الأدب في التقعيد اللّغوي، ص : 76.

ومما لا شك فيه ولا خلاف، أن أوائل النحاة كانوا كلهم من القراء وأن نشأة علم النحو كانت في ظل القراءات القرآنية.

ولهذا كان النص القرآني أعظم وأجل النصوص اللغوية لوضع قواعد اللغة، وما للأبيات الشعرية إلا شواهد لتقريب الأفهام.

هذا وقد اختلف النحاة في أخذهم بهاته القراءات، وجعلوا الأغلبية لمتواترها، ومشهورها وآحادها، أما الشاذة منها فأخذوا بها عند الحاجة، ولكن دونما القياس عليها.

فالقراءات القرآنية كان لها أثر واضح في الفهم اللغوي والتفصيل للغة، ومنها نأتي بذكر بعض الأمثلة لبعض المسائل النحوية نحو:

### \*في التنكير والتعريف:

قال تعالى: ﴿...﴾ [سورة البقرة: الآية ستة وتسعون]. جمهور القراء قرأها بالتنكير؛ أي (على حياة)، وقرأها أبي بن كعب (على الحياة) بالتعريف.

والقراءة بالتنكير تعني: الحياة المتطاولة (المخصوصة)؛ أي الحياة الزائدة المستقبلية.

أما في قراءتها بالتعريف فتعني مطلق الحياة؛ أي الحياة الماضية والراهنة فكانت القراءة بالتنكير أبلغ من قراءتها بالتعريف<sup>1</sup>.

### \*في الأسماء وأحوال إعرابها:

قال تعالى: ﴿...﴾ [سورة البقرة: الآية مائة وسبعة عشر].

قرأها جمهور القراء بالرفع (بديع)، وقرأها 'صالح بن أحمد' (بديع) بالجرّ وقرأها 'المنصور' بالنصب (بديع).

<sup>1</sup> - ينظر: محمد مسعود علي حسن عيسى، أثر القراءات القرآنية في فهم اللغوي، ص: 254.

فمن قرأها بالرَّفَعِ فعلى أنَّها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو بديع)، ومن قرأها بالجرِّ فعلى أنَّها من الضَّمير في قوله تعالى : ﴿ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ﴾ [ سورة البقرة: الآية مائة وستة عشر]، وقيل على أنَّها صفة لله في قوله تعالى: ﴿ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ﴾ [ سورة البقرة: الآية مائة وخمسة عشر]، أما من قرأها بالنَّصْبِ فعلى المدح والتَّعْظِيمِ، والتَّقْدِيرِ: (أمدح بديع السَّمَوَاتِ) ... الخ من القضايا النحوية<sup>1</sup>.

أما فيما يخصِّ القراءات الشاذة، فالبرغم من شدوذها إلا أنَّ النَّحَاةَ أخذوا بها في الكثير من الأحكام النحوية ومنها نذكر:

#### \*في قاعدة الرَّفَعِ على الابتداء:

قرأ زيد بن أسلم وأبو جعفر قوله تعالى: ﴿ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ﴾ [ سورة النمل: الآية إحدى عشر ]. و(مَنْ) هنا مرفوعة بالابتداء، وخبره الجملة الفعلية ( ظلم ) نحو قولهم:

مَنْ يَظْمُ أضرب زيداً، فيُقَمُّ هنا خبر ( مَنْ )، حيث كان شرطاً، أما أبو حيان فقال ( مَنْ ) هنا شرطية<sup>2</sup>.

#### \*في قاعدة جواز تقديم خبر ( كان ) عليها:

استدلوا بقراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ﴾ وباطلاً ما كانوا يَعْمَلُونَ ﴿ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ﴾ [ سورة هود : الآية ستة عشر].

قال ابن جني : (باطلاً) منصوب بـ (يعملون)، وما زائدة للتوكيد، فكأنه قال : وباطلاً كانوا يعملون، وفي هذه القراءة دلالة على جواز تقديم خبر كان عليها كقولك : قائماً كان زيد، وواقفاً كان جعفر، ووجه الدلالة من ذلك أنه إنما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز

<sup>1</sup> - ينظر: محمد مسعود علي حسن عيسى، المرجع نفسه، ص: 272.

<sup>2</sup> - التواتي بن التواتي: القراءات القرآنية، ص: 488.

وقوع العامل، و(باطلا) منصوب بـ (يعملون) والموضع إذا لـ (يعملون) لوقوع معموله متقدم عليه، فكأنه قال: (لو يعملون باطلا كانوا)<sup>1</sup>

وجاء في بعض الكتب النحوية فيما يخص قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُونَ الْبَاطِلَ مَا كَانُوا﴾<sup>1</sup>  
﴿سورة الإخلاص : الآية الأولى﴾ في مسألة:

### \*الخبر الواقع جملة:

"(هو) : مبتدأ، والله أحد: مبتدأ ثان وخبر، والجملة خبر المبتدأ الأول وهي مرتبطة به لأنها نفسها في المعنى، لأن (هو) بمعنى الشأن، والجملة هي نفس الشأن، استدلوا بقول رسول ﷺ: "أفضل ما قلتُهُ أنا والنَّبِيُّونَ من قبلي لا إله إلا الله"<sup>2</sup>، ...الخ.

هذا وللمتمعن والمتبحر في ثنايا الكتب النحوية على اختلاف ألوانها، يجد الكثير منها.

أما الدارسون لبعض هاته الكتب فقد لاحظوا قلة استشهادهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة -التي تكاد تنعدم في البعض منها نحو كتاب 'سيبويه' (الكتاب) على سبيل المثال- مقارنة بالشعر ومردّهم في ذلك قدسية هذه النصوص.

وقد عجب 'ابن حزم' في هذا من النحاة في كثرة استشهادهم بكلام العرب فقال: "والعجب ممن إن وجد لأعرابي جلف أو لامرئ القيس أو الشماخ . . . لفظا في الشعر أو النثر جعله في اللغة واحتج به وقطع به على خصمه ولا يستشهد بكلام خالق اللغات"<sup>3</sup>.

وقال الدكتور 'صالح علي محمد النهاري' في مقاله -الشاهد القرآني وأثره في التّقييد للقواعد النحوية واللغوية- إنّ من صفات القرآن الكريم الهيمنة بدليل

قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُونَ الْبَاطِلَ مَا كَانُوا﴾<sup>1</sup>  
﴿سورة الإخلاص : الآية الأولى﴾ في مسألة:  
﴿سورة الإخلاص : الآية الأولى﴾ في مسألة:

سورة المائدة: الآية ثمانية وأربعون]، فكما أن المرجعية للقرآن الكريم تطبق على سائر

<sup>1</sup> - التواتي بن التواتي، المرجع نفسه، ص: 492.

<sup>2</sup> -ابن هشام : شرح قطر الندى وبلّ الصدى، ص : 157.

<sup>3</sup> - صالح علي محمد النهاري : الشاهد القرآن وأثره في التّقييد (مقال)، ص: 8.

الأحكام العقائدية والاجتهادية، وكذلك يجب أن تطبق هذه الهيمنة على القاعدة النحوية بوصفها اجتهادية بشرية، فنجعل القرآن الكريم أول مصادر الاحتياج، وذلك للهيمنة التي أعطاه الله إياها لأن الله تكفل بحفظه فقال تعالى: ﴿ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊀ ㊁ ㊂ ㊃ ㊄ ㊅ ㊆ ㊇ ㊈ ㊉ ㊐ ㊑ ㊒ ㊓ ㊔ ㊕ ㊖ ㊗ ㊘ ㊙ ㊚ ㊛ ㊜ ㊝ ㊞ ㊟ ㊠ ㊡ ㊢ ㊣ ㊤ ㊦ ㊧ ㊨ ㊩ ㊰ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ﴾ [سورة الحجر: الآية التاسعة]، فحفظ القرآن يعد حفظاً للغة العربية.

فالقرآن الكريم أهم المصادر التي استقى منها العلماء والنحاة الأوائل قواعدهم النحوية، وهو أعظم وأجل النصوص اللغوية بالإجماع .

وهكذا تظل كل هذه الاختلافات في الآراء، مجرد آراء، تساهم في نهايتها في خدمة الدين والعلم.

**المبحث الرابع: الزمخشري (دراسة حياته وفكره، ...).**

**المطلب الأول: حياة الإمام الزمخشري.**

**اسمه ونسبه:**

هو فخر خوارزم، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر، الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، لقب "بجار الله" لإقامته بمكة المكرمة لسنوات.

**مولده:**

ولد الزمخشري بزمخشر-قرية صغيرة من قرى خوارزم- يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة هجرية.

**نشأته:**

قضى طفولته المبكرة في مسقط رأسه زمخشر، تلقى تعلمه الأول من قراءة وكتابة وحفظ للقرآن الكريم على يد أبيه، وبعض مشايخ بلدته -زمخشر- من أشهرهم أبي مضر محمود بن حرير الضبيّ الأصبهاني (ت507هـ)، الذي لقب بفريد العصر ووحيد الدهر في اللغة والنحو .

جاء الكثير من البلدان طالبا للعلم والمعرفة وخاصة بغداد ومكة المكرمة، حتى عرف بعلمه الواسع.

تتلمذ على يده الكثيرون ومن أبرزهم: أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن أحمد بن هارون العمراني الخوارزمي (ت560هـ) الملقب بـ"حجة الأفاضل"، و "فخر المشايخ".

## وفاته:

توفي الزمخشري -رحمه الله- ليلة عرفة سنة ثمانية وثلاثين وخمسمائة من الهجرة بجرمانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة المكرمة<sup>1</sup>.

## آثاره:

رحل الزمخشري تاركا وراءه علماء واسعا محصورا في الكثير من المؤلفات منها:

- المؤلفات النحوية : الأحاجي النحوية، الأنموذج، المفرد والمؤلف، المفصل... الخ.
- المؤلفات اللغوية: أعجب العجب، أساس البلاغة، المستقصى في الأمثال، الفائق في غريب الحديث، ... الخ.
- إضافة إلى: الكشاف -أنموذج الدراسة-، الجبال والأمكنة، الدرر الدائر، المنتخب شرح مقامات الزمخشري... الخ.

## المطلب الثاني: فكره.

### عقيدته الاعتزالية:

عرف الزمخشري بعقيدته الاعتزالية، وكان يجاهر بها فهو "عندما يدخل صاحب استأذن في الدخول عليه، فيقول لمن يأخذ الإذن، قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب"<sup>2</sup>. وقد صرح العلامة ابن خلدون في مقدمته عن ذلك في قوله: "ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن -التفسير بالرأي-، كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد"<sup>3</sup>.

### حبه للعربية:

كان محبا للعرب والعربية حتى صار علما من علمائها، يقول حامدا الله سبحانه أن جعله كذلك: "الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية. وجباني على الغضب للعرب والعصبية"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص: هـ .

<sup>2</sup> - محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، ص: 182.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: المقدمة، ص: 447.



## مذهبه النحوي:

يأخذ في الغالب بآراء البصريين إضافة إلى آرائه الجديدة المبتكرة<sup>2</sup>.

## ثقافته:

كان واسع الثقافة محبا للعلم، طاف الكثير من البلدان، فعرف وبرز في عدة فنون، ما

جعله يلقب بـ: "فخر خوارزم". ألف في النحو واللغة، والحديث،... الخ<sup>3</sup>.

## مكانته العلمية:

عرف الزمخشري بسيرته المحمودة ومكانته السامية في عصره لما حظي به من علم وأدب، ... حتى قال فيه جماعة من أهل العلم منهم :

**مصطفى حسين أحمد** : " هو إمام الأئمة وهادي هداة الأمة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، من هو بأحسن النعوت حري، صاحب التأليف الزاهرة والتصانيف الفائقة الباهرة، فهو الإمام الكبير في الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان وغيرها بلا معاني؛ كان إمام عصره من غير مدافع، تشد إليه الرحال من كل مكان شاسع، أخذ الأدب عن شيخه منصور أبي مضر وصنف والتصانيف البديعة الغرر،...<sup>4</sup> .

أما 'ابن خلكان' فقال: " كان إمام عصره، وكان متظاهرا بالاعتزال داعية إليه. له التصانيف البديعة منها 'الكشاف' في التفسير، و'الفائق في غريب الحديث' و'أساس البلاغة' و'ربيع الأبرار ونصوص الأخبار' في الحكايات و'متشابه أسماء الرواة' و'الرائض في الغرائض' و'المناهج في الأصول' و'المفصل في النحو' و'الأنموذج' فيه مختصر و'الأحاجي النحوية' وغير ذلك<sup>5</sup> .

1 - الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ص: 17.

2 - ينظر: إبراهيم عبد الله رفيده، النحو وكتب التفسير، ج1، ص: 688.

3 - ينظر: فاضل صالح السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، ص: 15.

4 - الزمخشري: الكشاف، ج1، ص: هـ.

5 - أبو بكر السيوطي: طبقات المفسرين، ص121.

وفيه قال ابن السمعاني هو الآخر: "كان ممّن برع في الأدب، والنحو واللغة، لقيَ الكبار وصنّف التصانيف،..."<sup>1</sup>.

ومدحه شيخه وتلميذه ابن وهّاس فقال فيه:

"جميع قرى الدنيا سوى القرية التي تبوأها دارا فدارا زمخشـرا  
وأحرى بأن تزهى زمخشر بامرئ إذا عدّ في أسد الشرى زمخ الشرى"<sup>2</sup>.

ورثاه بعضهم لفرقته بأبيات من جملتها:

"فأرض مكة تدري الدّمع مقلتها حزنا لفرقة جار الله محمود"<sup>3</sup>.

وهذه أدلة قاطعة على مكانة الزمخشري في وسط معاصريه.

**المطلب الثالث: تفسير الكشاف "عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل  
في وجوه التأويل"**

**التعريف بالكتاب:**

هو تفسير القرآن الكريم، للإمام محمود بن عمر الزمخشري ت(538هـ).

وهو كتاب ضخّم، من أربعة أجزاء، رتّبهُ وضبطه وصححه خادم السنة النبوية 'مصطفى حسين أحمد'.

تتعبه مجموعة من الحواشي، منها هاته التي هي بين أيدينا :

\*الانتصاف: للإمام أحمد بن المنير الاسكندري.

\*الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: للحافظ ابن حجر العسقلاني .

\*حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف.

\* مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان أيضا.

1 - أحمد بن محمد الأذنروي: طبقات المفسرين، ص:53.

2 - فاضل صالح السامرائي: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، ص: 78.

## زمن ومكان تأليفه:

"كان تأليفه وقت خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في مدة زمنية قدرت بستين وثلاثة أشهر"<sup>1</sup>، حين كان مقيماً في مكة المكرمة" مجاوراً الحرم الشريف في جناح داره السلিমانيّة التي على باب أجياد الموسومة بمدرسته 'مدرسة العلامة'<sup>2</sup>.

انتهى منه في "ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين وخمسائة"<sup>3</sup>.

## قصته في تأليفه والغاية منه:

كانت غايته من تأليفه هذا الكتاب لسبب ديني بحت 'خدمة القرآن الكريم'، ونلمس ذلك فيما يرويّه شخصه: " لقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية -المعتزلة- العدلية، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إليّ في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب، أفاضوا في الاستحسان والتعجب ... شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا إليّ مقترحين أن أُملي عليهم (الكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل). فاستعفيت، فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد، والذي حداني على الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه عليّ واجبة؛ لأن الخوض فيه كفرض عين"<sup>4</sup>.

وهي قصة تأليف إمامنا كتابه "الكشاف" بعد تردد ثم عزم، يعود فضله إلى الأمير الشريف 'أبي الحسن علي بن حمزة بن وهّاس'<sup>5</sup>، موضحاً بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي.

يقول الزمخشري:

"ولولا ابنُ وهّاسٍ وسابقُ فضله رَعَيْتُ هَشِيمًا واستقيتُ مُصرِّدًا"<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - الزمخشري: الكشاف، ص: غ.

<sup>2</sup> - الزمخشري: المصدر نفسه، ج4، ص: 825.

<sup>3</sup> - الزمخشري: المصدر نفسه، ج4، ص: 825.

<sup>4</sup> - الزمخشري: الكشاف، ج1، ص: ض.

<sup>5</sup> - الزمخشري: المصدر نفسه، ج1، ص: ض.

<sup>6</sup> - فاضل صالح السامرائي: الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، ص: 21.

## مصادر ومنهج الزمخشري في تأليف الكشاف:

### أ-المصادر:

عرف الزمخشري بثقافته الواسعة في التفسير والفقه، والحديث واللغة والأدب...الخ فكانت له الذخر لإنتاج هاته الثمرة القيّمة -الكشاف- الذي عده الكثير من العلماء من أحسن التفاسير.

فإمامنا الزمخشري استقى مادة الكشاف إضافة إلى علمه وحفظه ومحصوله من التفسير الأثري من:

- كتب التفاسير التي سبقته، كتفسير ابن عباس، وأبي وعمرو بن عبيد، وأبي بكر الأصم.

- كتب معاني القرآن، وخاصة الزجاج، والفراء.

- أخذ عن سيبويه والخليل والمبرد ... .

- أخذ بالقراءات من نحو: قراءة عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو حيوة، وغيرهم.

### ب-المنهج :

اتبع إمامنا الزمخشري في كشافه (المنهج اللغوي النحوي) دونما الابتعاد عن أصول مذهبه الاعتزالي، الذي يقوم على أصول خمسة هي: 'التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر'<sup>1</sup>، ومنه ما جاء في تفسيره لسورة آل عمران الآية: سبعة، وسورة الأنعام الآية:مائة وثلاثة... إلى غير ذلك من المواضع.

أما فيما يخص منهجه اللغوي النحوي: ففيه عمد علوم العربية المختلفة وبأخصها علمي (النحو والبلاغة) لما فيهما من بيان للإعجاز القرآني.

<sup>1</sup> - السيد الشحات زغلول: مناهج في التفسير، ص: 85.

وهو المنهج الذي جعله يحظى بمكانة علمية سامية بين العلماء، وقد تمثل في ملاءمته بين الإعراب والنظم البلاغي واستيعابه لفكر أئمة النحو ومؤلفي كتب المعاني والدراسات البلاغية، لإبراز خصائص التعبير القرآني المعجز.

وقد أشار إمامنا لذلك في مقدمته لكشافه، وملخصها :

- البراعة في علمي المعاني والبيان.

- البراعة في علم الإعراب.

- الأخذ بسائر العلوم بحظ.

- إضافة إلى علمه وما تقدم من تفسير بالمأثور<sup>1</sup>.

لكن كان للنحو نصيبه الأوفى في تفسيره، لأنه أساس كل هذه العلوم كلها.

### خصائص الكشاف وقيمه العلمية:

#### أ- خصائصه:

تميز الكشاف بما يلي:

- خلوه من الحشو والتطويل.

- خلوه من القصص والاسرائليات.

- اعتماده لغة العرب وأساليبهم البلاغية من شعر ونثر في توضيح المعاني.

- اعتماده علم النحو وعلمي المعاني والبيان في التوضيح إعجاز القرآن.

- اعتماده على طريقة السؤال والجواب، من خلال قوله: "فإن قلت...، قلت".

- اعتماده القراءات القرآنية المختلفة، وبعض الأحاديث الشريفة إضافة إلى بث آرائه الاعتزالية.

- كثرة الحواشي.

<sup>1</sup> - ينظر: الكشاف، ج1، ص: ن.

## ب- قيمته العلمية:

تعرض الزمخشري للنقد -نظرا لمذهبه الاعتزالي- من قبل الكثير من العلماء، لكن رغم هذا نجدهم في كثير منها يعترفون بقيمة كتابه العلمية، وبخاصة تلك المتعلقة بمذهبه اللغوي البارع، الذي جعل منه تفسيرا غير تفاسير السابقين، ومن هؤلاء:

"الذهبي" إذ يقول: ' وليس عجا أن يكون الكشاف كذلك، وهو أول كتاب في التفسير كشف لنا سر بلاغة القرآن، وأبان لنا عن وجوه إعجازه، وأوضح لنا عن دقة المعنى الذي يفهم من التركيب اللفظي، كل هذا في قالب أدبي رائع، وصوغ إنشائي بديع لا يتفق لغير الزمخشري إمام اللغة وسُلطان المفسرين، وإذا كان الزمخشري قد تأثر في تفسيره بعقيدته الاعتزالية فمال بالألفاظ القرآنية إلى المعاني التي تشهد بمذهبه، أو تأولها بحيث لا يتنافى معه على الأقل، فإنه في محاولاته هذه قد برهن بحق براعته وقوة ذهنه، وصوّر لنا مقدار ما كان من التأثير بين التفسير وهوى العقيدة.

ويواصل القول: وما كان لنا بعد هذا كله أن نغض الطرف عن هذا التفسير تأثرا بمذهبنا السني، وكرهه لمذهب المعتزلة، وبخاصة ما هو ثابت وواقع من ثناء كثير من علماء أهل السنة عليه -فيما عدا ناحيته الاعتزالية - واعتماد معظم مفسريهم عليه وأخذهم منه. فالكشاف -والحق يقال- قد بلغ نجاحه مبلغا عظيما، ليس فقط لأنه لا يمكن الاستغناء عنه في بيان الأقوال الكثيرة لقدماء المعتزلة. بل لأنه استطاع أيضا أن يكون معترفا به من الأصدقاء والخصوم على السواء ككتاب أساس للتفسير،...

ويقول أيضا: ... وحتى أهل السنة استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة كانوا لا يلتفتون إليها لولاه، فأوردوا في تفسيرهم ما ساقه الزمخشري في كشافه من ضروب الاستعارات والمجازات، والأشكال البلاغية الأخرى واعتمدوا ما نبّه عليه الزمخشري من نكات بلاغية تكشف عما دقّ من براعة نظم القرآن وحسن أسلوبه"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - الذهبي : التفسير والمفسرون، ص: 193.

وقال صاحب المناهل: "وكتابه خير كتاب أو من خير الكتب التي يرجع إليها في التفسير من ناحية البلاغة، رغم نزعتة الاعتزالية وأغلب التفاسير من بعده أخذت منه واعتمدت عليه"<sup>1</sup>.

أما ابن خلدون فقال: "ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير - ما يرجع إلى لسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب - كتاب الكشاف للزمخشري"<sup>2</sup>.

ويقول في موضع آخر: "واعلم أن ثمرة هذا الفن - علم البيان - إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن، (...)، وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل منه، حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير، وتتبع أي القرآن بأحكام هذا الفن، بما يبدي البعض من إعجازه، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير"<sup>3</sup>.

أما التاج السبكي فقال: "واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابيه، ومصنّفه إمام في فنّه"<sup>4</sup>.

ومما يدل على اهتمام العلماء به أيضاً، ما يتعقبه من حواشي حملها حيث ذكر له بروكلمان 95 مخطوطة و 22 شرحاً وتعليقاً منها:

- تعليق لمحمود بن مسعود الشيرازي قطب الدين العلامة ت(710هـ).
- تعليق لأبي الحسن بن محمد الطيبي ت(743هـ) يسمى "فتوح الغيب".
- "الكشف عن مشكلات الكشاف" لأبي حفص عمر بن عبد الرحمن بن عمر الفارسي القزويني ت(745هـ).
- تعليق لأحمد بن الحسين بن إبراهيم الجاربردي فخر الدين ت(746هـ).

<sup>1</sup> - الزر قاني: مناهل العرفان، ج2، ص: 51.

<sup>2</sup> - ابن خلدون: المقدمة، ص: 447.

<sup>3</sup> - ابن خلدون: المقدمة، ص: 605.

<sup>4</sup> - الذهبي: التفسير والمفسرون، ص: 192.

- "شرح الكشاف" لمحمد بن محمد التحتاني الرّازي ت (766هـ)<sup>1</sup>، ... إلى غير ذلك من التعليقات والشروح.

يضاف إليها مجموعة من المختصرات نحو:

- "التقريب في التّفسير" لمحمد بن مسعود السّيرافي القالي الشُّقار.

- "تلخيص الكشاف" لعمر بن داؤد الفارسي العجمي.

- "الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصة الكشاف" لعبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة بن رسول الله<sup>2</sup>. . الخ من المختصرات.

وقد قال الزمخشري الأبيات التالية معتزاً بكشافه وقيّمته العلمية:

"إنّ التّفاسير في الدّنيا بلا عدد      وليس لعمرى مثل كشافى  
إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته      فالجهل كالذّاء والكشاف كالشّافى"<sup>3</sup>.

هذا هو الزّمخشري النّحوي المفسّر الذي بلغ بمنهجه اللغوي غايته من خلال تفسيره الكشاف.

لا مرأى في أن جل الدراسات اللغوية نشأت وعاشت تحت رحاب القرآن لحمايته وفهمه فالعلماء خدموا القرآن كل حسب طريقته الخاصة، فمنهم من اهتم بشرحه وتفسيره ومنهم من اهتم بحفظه وتعليمه ومنهم من اهتم بالنحو والإعراب ومنهم من اهتم بالقراءات ... ومنهم من جمع أكثر من علم في خدمة كتاب الله.

ولقد كان للنحاة شرف المشاركة في خدمة هذا الكتاب العظيم، فكانوا من أوائل العلماء الذين نالوا شرف السبق إلى كشف معانيه، أو لم تكن أعمال أبا الأسود الدؤلي دليلاً على حماية معاني القرآن من التحريف؟ وكتب معاني القرآن دليلاً لفهم نص القرآن؟ إلى غير ذلك من الأعمال النحوية.

1 - فاضل صالح السامرائي: الدراسات النحوية واللغوية عند الزّمخشري، ص: 292.

2 - فاضل صالح السامرائي: المرجع نفسه، ص: 97.

3 - فاضل صالح السامرائي: المرجع نفسه، ص: 96.



فمن هنا تتجلى لنا ضرورة حضور علم النحو بالنسبة لعملية التفسير، ومن هنا بدأت أولى ملامح التفكير النحوي في نشأت التفسير اللغوي، من تفسير الطبري إلى الزمخشري الذي برز معه التفسير اللغوي النحوي وغيرهم من علماء التفسير.

إنّ عملية التفسير إذن تحتاج إلى معرفة عميقة بقواعد النحو وأحكامه إلى جانب جملة العلوم الأخرى اللسانية والقرآنية والتفسير بالمأثور كي يفهم كتاب الله العزيز القدير وتكشف أسرارهِ الإعجازية. للاهتمام به.

لذلك وجبت على القارئ المعرفة بعلم النحو لكي يسلم في قراءته للقرآن على الوجه الصحيح، وعلى المفسر لكي يتمكن من كشف معانيه وبيانها .

وتفسير الكشاف فيه دليل عن ذلك لإمام صاحبه بمسائل نحوية تفسيرية كثيرة كان للقاعدة النحوية فيها دورها وأثرها الواضح في حل هذه القضية التفسيرية.

## الفصل الثاني:

التفكير النحوي وأثره في التفسير  
"دراسة تطبيقية"

### المبحث الأول:

دراسة تحليلية للربيع الأول من  
تفسير الكشاف .

### المبحث الثاني:

دراسة تحليلية للربيع الثاني من  
تفسير الكشاف .

المبحث الثالث:  
دراسة تحليلية للربع الثالث من  
تفسير الكشاف .

المبحث الرابع:  
دراسة تحليلية للربع الرابع من  
تفسير الكشاف .

اتَّبَعَ علماء التَّفْسِيرِ مَنَاهِجَ لُغَوِيَّةٍ مُتَفَرِّقَةً فِي كَشْفِ أَسْرَارِ الإِعْجَازِ الْقُرْآنِيِّ، كَالْبَلَاغَةِ وَعِلْمِ النُّحُوِّ وَالإِعْرَابِ وَاللُّغَةِ، ... ، إِلَى جَانِبِ عُلُومِ الْقُرْآنِ وَمَا أَثَّرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ وَالتَّابِعِينَ.

لَكِنِ الْمَلَاخِظُ فِي هَذِهِ التَّفَاسِيرِ اعْتِمَادُ أَصْحَابِهَا عَلَى عِلْمِ النُّحُوِّ، إِذْ كَانَ لَهُ الأَثَرُ الْكَبِيرُ وَنَصِيبُهُ الأَوْفَى فِي التَّفْسِيرِ؛ لِأَنَّهُ أَسَاسُ الْعُلُومِ فِي تَحْدِيدِ الْمَقَاصِدِ.

مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ (تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ طَرِيقِ الْقَوَاعِدِ النُّحَوِيَّةِ) حَاولْتُ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ التَّحْلِيلِيَّةِ تَوْضِيحَ أَثَرِ النُّحُوِّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِ الْكُشَافِ لِلْعَلَامَةِ الزَّمْخَشَرِيِّ كَأَنْمُودَجٍ، حَيْثُ تَمَّ اسْتِخْرَاجُ بَعْضِ الْقَضَايَا النُّحَوِيَّةِ التَّفْسِيرِيَّةِ وَتَحْلِيلُهَا وَشَرْحُهَا مَعَ بَيَانِ أَثَرِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ النُّحَوِيَّةِ فِي حَلِّ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ التَّفْسِيرِيَّةِ.

## المبحث الأول: دراسة تحليلية للربيع الأول من تفسير الكشاف

### المطلب الأول : البسمة.

مِنْ بَيْنِ الْقَضَايَا الَّتِي نَالَتْ اِهْتِمَامَ الْمَفْسِّرِينَ "مُتَعَلِّقُ بَاءِ الْبِسْمَةِ"، وَعَدَّهُ أَكْثَرُهُمْ فِعْلًا مُؤَخَّرًا، وَمِنْهُمْ الزَّمْخَشَرِيُّ إِذْ قَالَ فِي بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى : "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" : "بِمِ تَعَلَّقَتْ الْبَاءُ؟ قُلْتُ بِمَحْذُوفِ تَقْدِيرِهِ بِسْمِ اللَّهِ أَقْرَأُ أَوْ أَتْلُو؛ لِأَنَّ الَّذِي يَتْلُو التَّسْمِيَةَ مَقْرُوءٌ، كَمَا أَنَّ الْمَسَافِرَ إِذَا حَلَّ أَوْ ارْتَحَلَ فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ وَالْبِرَكَاتِ، كَانَ الْمَعْنَى : بِسْمِ اللَّهِ أَحَلُّ وَبِسْمِ اللَّهِ ارْتَحَلُ : وَكَذَلِكَ الذَّابِحُ وَكُلُّ فَاعِلٍ يَبْدَأُ فِي فِعْلِهِ : "بِسْمِ اللَّهِ" كَانَ مُضْمَرًا، مَا جَعَلَ التَّسْمِيَةَ مَبْدَأً لَهُ وَنَظِيرَهُ فِي حَذْفِ مُتَعَلِّقِ الْجَارِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : (فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ)، أَيِ إِذْ هَبَّ فِي تِسْعِ آيَاتٍ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْعَرَبِ فِي الدَّعَاءِ لِلْمَعْرِسِ بِالرِّقَاءِ وَالْبَنِينَ، وَالْقَوْلِ الأَعْرَابِيِّ : بِالْيَمَنِ وَالْبِرَكَةِ، بِمَعْنَى أَعْرَسَتْ أَوْ نَكَحَتْ وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ فَرِيْقٌ تَحْسُدُ الْإِنْسَانَ الطَّعَامًا.

فَإِنْ قُلْتُ : لِمَ قَدَّرْتَ الْمَحْذُوفَ مُتَأَخَّرًا؟ قُلْتُ : لِأَنَّ الأَهْمَ مِنَ الْفِعْلِ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهِ هُوَ الْمُتَعَلِّقُ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَبْدُؤُونَ بِأَسْمَاءِ آلِهَتِهِمْ فَيَقْلُونَ : بِاسْمِ اللَّاتِ، بِاسْمِ الْعَزَّى، فَوَجِبَ أَنْ يَقْصِدَ الْمَوْحِدَ مَعْنَى اِخْتِصَاصِ اسْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَكَذَلِكَ بِتَقْدِيمِهِ وَتَأْخِيرِ الْفِعْلِ كَمَا فَعَلَ فِي قَوْلِهِ : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ)، حَيْثُ صرَّحَ بِتَقْدِيمِ الْإِسْمِ إِرَادَةَ لِّلْإِخْتِصَاصِ. وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ

قوله: (بسم الله مجراها ومرساها). فإن قلت: فقد قال: (اقرأ باسم ربك)، فقدّم الفعل، قلت: هناك تقديم الفعل أوقع ، لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم.

فإن قلت: ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما أن يتعلق بها تعلق القلم بالكتابة في قولك: كتبت بالقلم، على معنى أن المؤمن لما اعتقد أن فعله لا يجيء معتداً به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر الله لقوله عليه الصلاة والسلام: "كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر"، إلا كان فعلاً كلاً فعلاً، جعل فعله مفعولاً باسم الله كما يفعل الكتّاب بالقلم، والثاني: أن يتعلق الدهن بالإنبات في قوله: (تنبت بالدهن) على معنى: متبركاً بسم الله أقرأ، وكذلك قول الداعي للمعرس ك بالرفاء والبنين، معناه أعرست ملتبساً بالرفاء والبنين، وهذا الوجه أعرب وأحسن؛ فإن قلت: كيف قال الله تبارك وتعالى متبركاً باسم الله أقرأ؟ قلت: هذا مقول على السنة العباد، كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره، وكذلك: (الحمد لله رب العالمين - إلى آخره)، وكثير من القرآن على هذا المنهج، ومعناه: تعليم عباده كيف يتبركون باسمه، وكيف يحمّدونه ويعظمونه<sup>1</sup>.

تعلق 'الباء' بالمحذوف في (بسم الله)، والأصل فيها (باسم الله أقرأ أو أتلو، ... )، لأن لوقع الاسم الأولوية بالابتداء على وجه الاختصاص بذكر اسم الله، وتقديره (باسم الله ابتدائي)، تبركاً وطاعة وإجلالاً للملك القدوس عزّ وجلّ، لهذا تقدم اسم الله وتأخر الفعل المراد القيام به استعانة بالله سبحانه في كل عمل نقوم به.

وفي هذا خلاف على ما جاء في قوله تعالى: (اقرأ باسم ربك)، حيث تقدم فعل القراءة لأنه أوقع من الاسم في هذا المقام لما فيه من أمر منه سبحانه لرسوله الكريم -عليه الصلاة والسلام- بالقراءة وطلب العلم الذي يكمن سرّه في كلامه تبارك وتعالى، على أن يفتح فعله باسم الله.

"ومن هاهنا ينكشف أن القولين عند النّحاة في تقدير المتعلق بالباء في قولك: باسم الله، هل هو اسم أو فعل متقاربان وكل ورد به القرآن، (...). وكلاهما صحيح، فإن الفعل لا بد له من مصدر، فلك أن تقدّر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل

<sup>1</sup> - الزمخشري: الكشاف، ج1، ص: 2.

الذي سميت قبله، (...) فالمشروع ذكر الله في الشروع في ذلك كله تبركا وتيمنا واستعانة على الإتمام والتقبل<sup>1</sup>.

يقول "ابن الأنباري": "فإن قيل: فلم قدم الاسم على الفعل؟ (...) قيل: إنما قدم الاسم على الفعل لأنه الأصل، ويستغنى بنفسه عن الفعل، (...)، وأخر الفعل عن الاسم لأنه فرع عليه، ولا يستغني عنه، فلما كان الاسم هو الأصل ويستغني عن الفعل، والفعل فرع عليه ومفتقر إليه، كان الاسم مقدما عليه"<sup>2</sup>.

ويقول "ابن هشام" من جملة وظائف حرف الباء-: "الاستعانة، وهي الداخلة على آية الفعل، نحو كتبت بالقلم ونجرت بالقادوم، وقيل: منه [باء] البسمة؛ لأن الفعل لا يتأتى على الوجه الأكمل إلا بها"<sup>3</sup>.

لقد تقدم الاسم على الفعل لأنه أولى لغرض الاستعانة بالله في أعمالنا التي نقوم بها، و تقدم الفعل على الاسم لأنه أوقع من الاسم في أمره سبحانه عبده بالقيام بالفعل مستعينا باسمه.

ويكمن أثر هذه القاعدة في أنّ "متعلق باء البسمة" أبان حدثا محذوفا وأتمّ معناه، وفيه موضعان:

-رفع إذا كان التقدير ابتداء كائن بسم الله.

-نصب إذا علقت بفعل تقديره أبدأ أو أتلو.

وفي ذلك توكيد على توحيد الله وإجلاله، ووجوب اختصاصه بالعبادة والاستعانة به دون غيره.

### المطلب الثاني: اسم الإشارة الواقع خبرا

أخذ المفسرون بوجوه الإعراب في مواضع عديدة من تفسير القرآن الكريم، وذلك لما

فيه من زيادة توضيح المعنى، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿...﴾

1 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص: 27.

2 - ابن الأنباري: أسرار العربية، ص: 39.

3 - ابن هشام: مغنى اللبيب، ج1، ص: 120.

﴿سورة البقرة: الآية الثانية﴾ قال الزمخشري : " فإن قلت: لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد؟ قلت: وقعت الإشارة إلى ألم بعدما سبق التّكلم به وتقصى، والمتقصى في حكم المتباعد، وهذا في كل كلام، يحدث الرجل بحديث ثم يقول: وذلك ما لا شك فيه، ويحسب الحاسب ثم يقول: فذلك كذا وكذا، وقال الله تعالى: (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك)، وقال : (ذلكما مما علمني ربّي)، ولأنّه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه، وقع في حد البعد، كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيئاً : احتفظ بذلك، وقيل معناه: ذلك الكتاب الذي وُعدوا به، فإن قلت: لم ذكر اسم الإشارة - والمشار إليه مؤنث وهو السورة-؟ قلت: لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته، فإن جعلته خبره، كان ذلك في معناه ومسامه مسماه، فجاز إجراء حكمه في التذكير، كما أجرى عليه في التأنيث في قولهم: من كانت أمك ، وإن جعلته صفته، فإنما أشير به إلى الكتاب صريحا؛ لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له. تقول: هند ذلك الإنسان، أو ذلك الشّخص فعل كذا، وقال الذّبياني:

نَبَّتُ نَعْمَى عَلَى الْهَجْرَانِ عَاتِبَةً      سَفِيًّا وَرُعِيًّا لَذَاكَ الْعَاتِبِ الزَّرَارِي<sup>1</sup>.

قال الزمخشري بأن (ذلك) إشارة إلى (آلم)، وقال أيضا بأن الحروف (آلم) هي اسم للسورة، ولهذا الأمر جاءت في موضع الابتداء، على أنها إشارة وتنبية إلى هذه السورة، لما تحمله من قيم وعظات، ... .

وذكره لاسم الإشارة، حيث أنّ المشار إليه مؤنث وهو السورة، فلأنّه جعل (الكتاب) خبره أو صفته، يقول: " فإن قلت: أخبرني عن تأليف (ذلك الكتاب) مع (آلم) قلت: إن جعلت (آلم) اسما للسورة، ففي التّأليف وجوه: أن يكون (آلم) مبتدأ، و(ذلك) مبتدأ ثانيا، و(الكتاب) خبره، والجملة خبر المبتدأ الأوّل ومعناه : أنّ ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، وأنه الذي يستأهل أن يسمى كتابا ...

وأن يكون الكتاب صفة. ومعناه: هو ذلك الكتاب الموعود، وأن يكون ( آلم ) خبر مبتدأ محذوف، أي هذه آلم، ويكون خبرا ثانيا أو بدلا، على أن الكتاب صفة، وأن يكون: هذه آلم جملة، وذلك الكتاب جملة أخرى. وإن جعلت آلم بمنزلة الصّوت، كان ذلك مبتدأ

خبره الكتاب، أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل، أو الكتاب صفة والخبر ما بعده.  
أو قدّر مبتدأ محذوف، أي هو -يعني المؤلف من هذه الحروف- ذلك الكتاب"<sup>1</sup>.

\* إن جُعِلَ (الكتاب) خبر لـ (ذلك): جاز إجراء حكمة عليه في تذكيره أو تأنيثه،  
كانت ( آلم ) مبتدأ، و( ذلك ) مبتدأ ثاني، و ( الكتاب ) خبر، والجملة ( ذلك الكتاب )  
خبر للمبتدأ الأول ( آلم )، والمعنى أريد به ذلك الكتاب الكامل.

\* أمّا إذا جُعِلَ ( الكتاب ) صفة لـ ( ذلك ): كانت ( آلم ) خبر لمبتدأ محذوف و( ذلك )  
خبراً ثانياً أو بدلاً، فالمشار إليه هو ذلك الكتاب الموعود، الذي هو القرآن الكريم، الذي  
خصه سبحانه نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم على سائر الأمة، على خلاف الحاصل  
بالنسبة للكتب السّالفة. هذا إذا كانت ( آلم ) اسم للسّورة.

\* أمّا إذا كانت ( آلم ) بمنزلة الصّوت- الذي لا يعلم تفسيره إلّا هو العليم القدير- فلا  
خلاف عن سابقه، ف ( ذلك ) كانت مبتدأً للتنبيه إلى كمال وجلال هذا الكتاب  
المقدس، الذي هو موضع المخبر عنه أو صفة، إذ تكمن الفائدة فيه وفي ذكره والعمل به.

لقد أشار النّحاة إلى ارتباط أسماء الإشارة بالدّلالة على القرب والبعد، يقول "ابن  
الناظم": "اسم الإشارة: ما دل على حاضر، أو منزل منزلة الحاضر، وليس متكلّماً، ولا  
مخاطباً.

يختلف حاله، بحسب القرب والبعد والإفراد، والتذكير، وفروعهما"<sup>2</sup>.

وما ذكر في شأن هذه الآية فهو إشارة إلى كتاب الله (القرآن الكريم)، لغرض  
التّنبية والإخبار عنه.

ويبدو أثر اسم الإشارة في تفسير الآية في إفادة المفسّر في إيانة المشار إليه، والإخبار  
عنه، الذي هو الكتاب الموعود ( القرآن الكريم )، جاء في تفسير المنار: " (ذلك) إشارة  
إلى القرآن الكريم"<sup>3</sup>.

1 - الزّمخشري، المصدر نفسه، ص: 32.

2 - ابن الناظم: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ص: 51.

3 - محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج1، ص: 123.

## المطلب الثالث: تأنيث لفظة عرفات

موضوع التذكير والتأنيث من المواضيع الهامة التي شغلت فكر النحاة في تحديد معاني الألفاظ ، أخذ به المفسرون في مسائل تفسيرية متعددة ،منها ما قاله الزمخشري في الآية الكريمة : ﴿...﴾ في الآية الكريمة : ﴿...﴾ [سورة البقرة: الآية مائة وثمانية وتسعون]: " ( عرفات ) علم للموقف سمى بجمع كأذرعات، فإن قلت: هل منعت الصِّرف وفيها السببان: التَّعريف والتَّأنيث؟ قلت: لا يخلو من التَّأنيث إمَّا أن يكون بالتَّاء التي في لفظها، وإمَّا بتاء مقدِّرة كما في سعاد؛ فالتَّاء التي في لفظها ليست للتَّأنيث، وإنمَّا هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث، ولا يصحُّ تقديرها كما لا يقدر تاء التَّأنيث في بنت؛ لأنَّ التَّاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها

بالمؤنث كتاء التَّأنيث، فأبَّت تقديرها. وقالوا سمَّيت بذلك لأنَّها وصفت لإبراهيم عليه السَّلام، فلمَّا أبصرها عرفها،... و قيل : لأنَّ النَّاس يتعارفون فيها ...، وهي من الأسماء المرتجلة لأنَّ العرْفة لا تعرف في أسماء الأجناس إلَّا أن تكون جمع عارف"<sup>1</sup>.

جاء في تفسير "ابن كثير": "إنمَّا صرف 'عرفات' وإن كان علما على مؤنث لأنَّه في الأصل جمع كمسلمات ومؤمنات، سمى به بقعة معيَّنة، فروعى فيه الأصل فصرت (..)، وعرْفة : موضع الموقف في الحج، وهي عمدة أفعال الحج،...".<sup>2</sup>

قال الزمخشري بأنَّ عرفات من الأسماء المرتجلة، لأنَّ العرْفة لا تعرف في أسماء الأجناس إلَّا أن تكون جمع عارف، فنقول مثلا: جبل عرفات وليس جبل عرفة، وإنمَّا عرفة هي يوم الوقوف بعرفات، وقيل عرفات على صيغة الجمع أو التَّكثير لاجتماع النَّاس بها يوم عرفة، فدلتَّ عرفات على اسم منطقة معيَّنة في مكة المكرَّمة، لهذا روعي فيها الأصل من نحو جمع مسلمات ومؤمنات، ... فصرفت.

يقول "ابن الاباري" : " والأصل في مسلمات وصالحات: مسلمتات وصالحتات إلَّا أنَّهم حذفوا التَّاء لئلا يجمعوا بين علامتي تأنيث في كلمة واحدة (...)، فإن قيل: فلمَ كان

1 - الزمخشري: الكشاف، ج1، ص: 245.

2 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص : 300 .



حذف التاء الأولى أُولَى؟ قيل لأنها تدل على التأنيث فقط والثانية تدل على الجمع والتأنيث، فلما كان في الثانية زيادة معنى كان طبقيتها وحذف الأولى أُولَى<sup>1</sup>.

وجاء في المفصل للزمخشري: "والتاء تثبت في اللفظ وتقدر"<sup>2</sup>، وقال أيضا: "وتأنيث الجمع ليس بحقيقي، ولذلك اتسع فيما اسند إليه إلحاق العلامة وتركها كما تقول: فعل الرجال والمسلمات ومضى الأيام، وفعلت ومضت، وأما ضميره فتقول في الإسناد إليه الرجال فعلت وفعلوا والمسلمات فعلت وفعلن"<sup>3</sup>.

ويتبين أثر التأنيث في تفسير الآية في أنه أبان حقيقة اللفظ، فقيل عرفات على صيغة الجمع دلالة على التكثر لاجتماع الناس بها، فخصت اسما لمكان.

ومنه يتبين لنا أن قاعدة التذكير والتأنيث تعين على بيان معاني الألفاظ وتوضيحها.

#### المطلب الرابع: حرف العطف (ثم) لإفادة الترتيب

إنّ نظام النحو يعتمد الوسائج التركيبية والصلات بين المفردات، لبيان المراد للفهم والإفهام.

يقول سبحانه في محكم تنزيله: ﴿...فإن قلت: فكيف موقع ثمّ؟ قلت: نحو وتسعة وتسعون﴾، جاء في الكشف في بيانها: "...فإن قلت: فكيف موقع ثمّ؟ قلت: نحو موقعها في قولك: أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم؛ تأتي بثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى الكريم والإحسان إلى غيره، وبعد ما بينهما فكذلك حين أمرهم بالذکر عند الإفاضة من عرفات قال: ثم أفيضوا، لتفاوت ما بين الإفاضتين، وأن إحداهما صواب والثانية خطأ. وقيل ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس؛ أي من المزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات..."<sup>4</sup>.

1 - ابن الانباري: أسرار العربية، ص: 73.

2 - الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ص: 248.

3 - الزمخشري: المصدر نفسه، ص: 250.

4 - الزمخشري: الكشف، ج1، ص: 247.

يقول 'إميل بديع يعقوب': 'ثمّ حرف عطف ( يفيد التّشريك في الحكم والترتيب والتراخي )...' <sup>1</sup>.

نفهم من هذا أنّ الحرف ( ثمّ ) يحمل عدة دلالات داخل التّركيب. أما وموقعها في هذه الآية الكريمة، فلافادة التّرتيب؛ ترتيب خبر بعد خبر؛ أي الإفاضة تكون من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات.

يقول 'ابن كثير': ' (ثمّ) هاهنا لعطف خبر على خبر وترتيبه عليه، كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع إلى مزدلفة لينكر الله عند المشعر الحرام، وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور النّاس بعرفات، كما كان جمهور النّاس يصنعون،...' <sup>2</sup>.

يتبيّن من هذا التّفسير أنّ (ثمّ) أفاد ترتيب الألفاظ والتراكيب فيما بينها، وتوضيح معانيها وإفهامها، حيث أنّ الإفاضة من مزدلفة إلى منى تكون بعد الإفاضة من عرفات، وفي ذلك توضيح لأركان الحج وترتيبها كما أمر عزّ وجل، فكان من واجب النّاس إتّباع هذا التّرتيب، لأنّ الوقوف بعرفات أعظم أركان الحج.

وها هنا يكمن أثر الحروف الروابط في تحديد معاني التراكيب وتوضيحها.

### المطلب الخامس: موضع (قائما بالقسط) حال

من بين ما أخذ به المفسّرون من قواعد (الحال) في قوله تعالى-على سبيل المثال:-

[سورة آل عمران : الآية ثمانية عشر].

قال الزّمخشري في بيانها : "... (قائما بالقسط ) مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال. ويثبت ويعاقب. وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السّوية فيما بينهم. وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله: ( هو الحقُّ مصدّقا )، فإن قلت: لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه؟ ولو قلت: جاءني زيد وعمرو

<sup>1</sup> - إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ص: 165.

<sup>2</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص: 302.

راكبا لم يجز؟ قلت: إنّما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله تعالى: ( ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ) أن انتصب نافلة حالا عن يعقوب، ولو قلت: جاءني زيد وهند راكبا جاز لتمييزه بالذكرورة أو على المدح كقولك: الحمد لله الحميد، ... فإن قلت: هل يجوز أن يكون صفة للمنفي كأنه قيل: لا إله قائما بالقسط إلا هو؟ قلت: لا يبعد فقط رأيهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف. فإن قلت: قد جعلته حالا من فاعل شهد، فهل يصح أن ينصب حالا عن 'هو' في (لا إله إلا هو)؟ قلت: نعم، لأنها حال مؤكدة والحال مؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك: أنا العبد الله شجاعا، وكذلك لو قلت: لا رجل إلا عبد الله شجاعا، وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد، وكذلك انتصابه على المدح<sup>1</sup>.

قال النحاة بأن الحال تأتي لبيان الهيئة، وهي من مكملات الجملة؛ لأنها تضيف معنى لها وما جاء في قوله تعالى: (قائما بالقسط) حال مؤكدة منصوبة تعود على الله تعالى، دون الملائكة وأولوا العلم، لأن في العبارة مدحا للخالق عزّ وجل؛ أي هو العادل في تقسيم الأرزاق والآجال... الخ.

والحال جاءت نكرة لإفادة السامع بأنه سبحانه الواحد الأحد المنفرد بهذه الصفات فكانت بذلك تخصيص وبيان على أنه عزّ وجلّ أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين "أنه لا إله إلا هو".

وبهذا ساهمت الحال في هذا الموضع من الآية في توضيح المعنى، لما فيها من تخصيص الصفة - صفة صاحبها - وبيان هيئتها وتثبيتها له.

يقول "ابن جني": "الحال وصف هيئة الفاعل أو المفعول به ولفظها نكرة تأتي بعد معرفة قد تم الكلام عليها وتلك النكرة هي المعرفة في المعنى"<sup>2</sup>.

ويبدو أثر هذه القاعدة في أن المفسر تمكن من تحديد المخصوص بالمدح الذي هو الله تعالى (القائم بالقسط)، ففصل بين الصفة (القيام بالقسط) والموصوف الذي هو (الله)، فأبان هيئته، بينما قوله بأنها حال مؤكدة فلأنه عزّ وجلّ قال "لا إله إلا هو" فأكد سبحانه هذه الحال بضمير الشأن (هو). وفي ذلك تنبيه و تعظيم للخالق في تقسيمه للأرزاق.

1 - الزمخشري: الكشاف، ج1، ص: 343.

2 - الأصبهاني: شرح اللّمع في النحو، ص: 204.



يتبيّن من تفسير الآية أنّ (البدل) أفاد في توضيح المقصود بالحكم، وهم النَّاس الذين تتوفر فيهم شروط الاستطاعة.

### المطلب السّابع: إضمار (أن)

أخذ المفسرون بتناوب الحروف لأنّ من شأنها أن توضح المعنى و تبيّنه.

قال العزيز القدير: ﴿ ⑩ ⑨ ⑧ ⑦ ⑥ ⑤ ④ ③ ② ① ﴾ " ⑩ ⑨ ⑧ ⑦ ⑥ ⑤ ④ ③ ② ① " قال الزّمخشري: "... وقيل إن (يتوب) منصوب بإضمار " أن " و " وأن يتوب" في حكم اسم معطوف بأو على الأمر أو على شيء؛ أي ليس لك من أمرهم شيء، وقيل " أو " بمعنى "إلا أن " كقولك : لألزمك أو تعطيني حقي، على معنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم" <sup>1</sup>.

ترد حروف العطف بصور ومعان مختلفة، ومنها حرف العطف (أو) الذي ظهر في هذه الآية على معنيين مختلفين :

\* إذا كانت (أو) بمعنى (أن مضمرة)، حيث دخل (أو) على الفعل المضارع (يتوب) فنصبه بأن مضمرة، فأصبح (يتوب) اسم معطوف بأن على الأمر أو على شيء، كان المعنى: أنه سبحانه نفى عن نبيه أمر هؤلاء الظالمين من التوبة عليهم أو تعذيبهم؛ أي التوبة والتعذيب منه عزّ وجلّ ، ومردّد ذلك وجود حرف العطف (أو) لإفادة الجمع.

\* إذا كان بمعنى (إلا أن )، كان لقصد غاية ما؛ بمعنى أنه سبحانه أخبر نبيه - على سبيل التنبيه والشرط - أن أمر حساب العباد هو سبحانه المسؤول عن ذلك، إمّا بالتوبة عليهم وإمّا بتعذيبهم.

ويتبين أثر (إضمار أن) في هذا الموضع في إظهار غاية ما لغرض التنبيه والشرط وهي أمر الحساب.

<sup>1</sup> - الزّمخشري: الكشاف، ج1، ص: 413.

والمعنى: أن الأمر كله يعود للخالق عزّ وجل، وما على نبيّه -عليه الصّلاة والسّلام- إلاّ بالإبلاغ والإنذار والمجاهدة، وأمّا أمر الحساب فله سبحانه، هو المسؤول على عباده بالتّوبة عليهم أو بتعذيبهم<sup>1</sup>.

وفي نحو ذلك ذكر النّحاة لحرف العطف (أو) اثنا عشر معنى، منها هذا الذي أمامنا، ويقول فيه "ابن هشام": "... أن تكون بمعنى (إلاّ) في الاستثناء، وهذه ينتصب المضارع بعدها بإضمار (أنّ) كقولك لأقتلنه أو يُسلم<sup>2</sup>.

ويقول في شرح شذور الذهب - : "فأمّا (أو) فينصب المضارع بأن مضمرة بعدها وجوبا، إذا صحّ في موضعها "إلى" أو "إلاّ" ...<sup>3</sup>؛ أي "الأجود أن نقول: إلى أن ، أو إلاّ أن، كما يرى الخضري، وإذا كان الفعل قبل "أو" ينقضي شيئا فشيئا؛ فهي بمعنى "إلى" وهذا كقول الشاعر:

لَأَسْتَسْهَلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أَدْرِكَ الْمُنَى فَمَا انْقَادَتِ الْأَمَالُ إِلَّا لِصَابِرٍ.

وإذا كان يحصل دفعة واحدة فهي بمعنى "إلاّ" نحو: لأقتلنّ الكافر أو يسلم<sup>4</sup>.

### المطلب الثامن: موضع (نفسا) تمييز

قال النّحاة بأنّ التّمييز وظيفته أن يوضح ويفسّر كلمة مبهمة غامضة قبله أو يفصل تركيبا مجملا، وهو أنواع تختلف من تركيب إلى آخر على حسب المراد. اعتمده المفسرون كأداة للتّبيين في مواضع قرآنية كثيرة، منها :

جاء في الكشاف في قوله عزّ وجل: ﴿...﴾  
﴿سورة النساء: الآية الرابعة﴾ : "... (نفسا) تمييز، وتوحيدها لأن الغرض

بيان الجنس والواحد بدل عليه، والمعنى: فإن وهبن لكم شيئا من الصّدّاق وتجاغت عنه

1 - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص: 494.

2 - ابن هشام: مغني اللبيب، ج1، ص: 78.

3 - ابن هشام: شرح شذور الذهب، ص: 392.

4 - ابن هشام : المصدر نفسه، ص: 392.

نفوسهن طيبات غير مخبثات يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم<sup>1</sup>.

(نفسا): تمييز، غرضه (بيان الجنس)، ونوعه: تمييز نسبة، إذ نسبة طبن تعود إلى المرأة مجملة، وتحتمل وجوها، ونفسا مبين لإجمالها.

يقول 'ابن مالك' في التمييز:

"اسم بمعنى 'من' مَبِينٌ، ذِكْرَةٌ، يَنْصَبُ تَمْيِيزًا بِمَا قَدْ فَسَّرَهُ"<sup>2</sup>.

جاء في شرح 'ابن الناظم' على ألفية ابن مالك لهذا البيت: "التمييز: كل اسم نكرة مضمن معنى (من) لبيان ما قبله من إبهام في اسم مجمل الحقيقة أو إجمال في نسبة العامل إلى فاعله أو مفعوله"<sup>3</sup>.

دلّت ( نفسا ) على جنس معين وهو المرأة المتزوجة، فخصصت على سائر النساء بهذا الحكم، لأنّ الطيبة دلالتها عامة؛ أي قد يتدخل غيرها ويتصرف بصداقها، فكان هذا التمييز تنبيها منه تعالى بعدم التصرف في صداقها غيرها، فإن تنازلت بشيء منه فحلالا طيبا. يقول "ابن كثير": "يجب أن يعطي (الرجل) المرأة صداقها طيبا بذلك، فإن طابت هي له به بعد تسميته أو عن شيء منه فليأكله حلالا طيبا"<sup>4</sup>

ويكمن أثر هذه القاعدة في بيان الحكم؛ أي حكم الصّداق، والجنس؛ أي المرأة المتزوجة.

### المطلب التاسع: تخريج غير على الأوجه الثلاث

قال النّحاة بأن المعاني تتغيّر بتغيّر الحركات الإعرابية سواء كانت ظاهرة أم مقدّرة يجليها العامل؛ لأن الموقع الإعرابي يحدد معنى السّياق اللّغوي. ومن ذلك قوله تعالى:

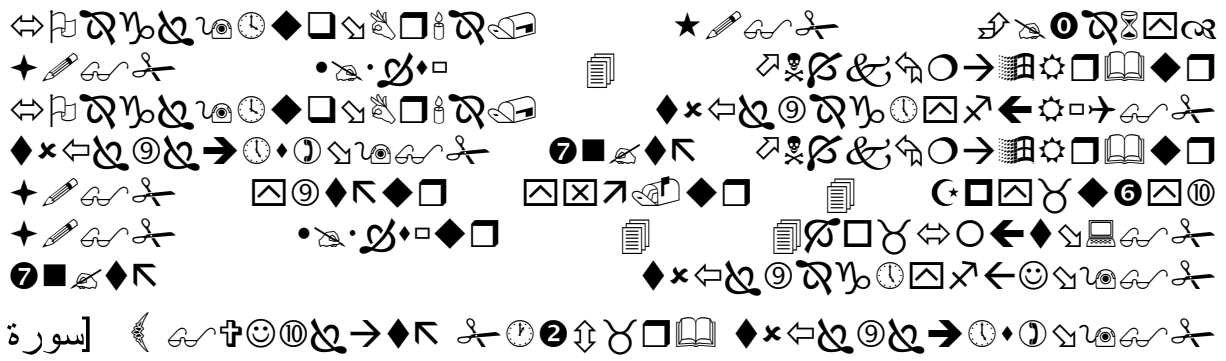
﴿...﴾

1 - الزمخشري: الكشف، ج1، ص: 470.

2 - باسمة درويش: الدليل إلى ألفية ابن مالك، ص: 47.

3 - ابن الناظم: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ص: 250.

4 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص: 556.



النساء: الآية خمسة وتسعون]، قال الزمخشري في هذه الآية: " (غير أولى الضّرر) قرئ بالحركات الثلاث، فالرّفعة صفة للقاعدين، والنّصب استثناء منهم أحوال عنهم والجرّ صفة للمؤمنين، والضرر: المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانه أو نحوها"<sup>1</sup>.

قرئت (غير) بالحركات الإعرابية الثلاث، الرّفعة، النّصب، والجر، فكان لكل منها معناها الخاص.

- أما من قرءها بالرّفعة (غير)، كانت ( غيرُ أولى الضّرر) صفة للقاعدين، حيث دخلت (غير) على النّكرة ( أولى الضّرر) من القاعدين ، فميّزتها وأثبتت هذه الصّفة لهؤلاء .  
- أما من قرأ (غير) بالنّصب، كانت بمعنى "إلاّ الاستثنائية" أو "حال"؛ أي استثناء هؤلاء القاعدين (أولى الضّرر) من عدم حرمانهم من الأجر.

- أما من قرءها بالجرّ (غير) فعلى أن صفة (الضرر) صفة للمؤمنين.

والمعنى: أنه تعالى أخبر بفضيلة المجاهدين على القاعدين مخرجا ذوي الأعدار لترك الجهاد بأنهم لا يحرمون من هذه الفضيلة<sup>2</sup>.

فالنّحاة "ينوا دراساتهم على أساس واضح لا لبس فيه ولا اختلاف، هو أنّ المتكلم يعبر عن المعاني التي يقصدها بجمل مفيدة يدرك السّامع معانيها و يفهمها بدلالات تعبر عن تلك المعاني، لذا رتبوا تلك المعاني في مواقع توصلوا لها بالاستقراء، وهي الرّفعة والنّصب والجرّ، ووضعوا لتلك المواقع علامات تشير إليها وتدلّ عليها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الزمخشري: الكشاف، ج1، ص: 553.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص: 666.

<sup>3</sup> - كريم حسين ناصح الخالدي: نظرية المعنى في الدّراسات النّحوية، ص: 214.



وقد أوضح 'الزجاجي' ذلك بقوله : "وإنما يدل الإعراب لمعان تعتور هذه الأشياء. (...). الإعراب عرض داخل في الكلام لمعنى يوجد ويدل عليه، والكلام إذا سابقة في المرتبة، والإعراب تابع من توابعه"<sup>1</sup>.

ومن تفسير الآية نلاحظ أنّ الحركة الإعرابية لها أثر في توضيح المعنى، يكمن في بيان جنس "الضرر" وتحديد معناه؛ أي هو صفة للمؤمنين، كان لغرض التقرير.

### المطلب العاشر: توسع معاني الواو

أشار النحاة إلى أن الحروف ذات أهمية بالغة في تحديد المعنى داخل التركيب، ولعل أكثرها شيوعاً حرف (الواو)، وما ورد من نحو ذلك في التفسير قول الزمخشري في بيان

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَسَبِهِمْ حَرَجٌ لِمَا عَصَوْا رَبَّهُمْ حَرَجٌ لِمَا كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة: الآية تسعة وخمسون]: فإن قلت : علام عطف قوله (وأن أكثرهم فاسقون)؟ قلت فيه وجوه: منها أن يعطف على أن ءامناً بمعنى:

وما تتفقون منّا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمرّدكم وخروجكم عن الإيمان كأنه قيل: وما تتكرون منّا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام وأنتم خارجون منه، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف؛ أي واعتقاد أنكم فاسقون. ومنها أن يعطف على المجرور؛ أي

وما تتقون منّا إلا الإيمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون. ويجوز أن تكون الواو بمعنى (مع)؛ أي وما تتقون منّا إلا الإيمان مع أنّ أكثركم فاسقون، ويجوز أن يكون تعليلاً معطوفاً على تعليل محذوف. كأنه قيل: وما تتقون منّا إلا الإيمان لقلّة إنصافكم وفسقكم وإتباعكم الشهوات"<sup>2</sup>.

في الآية وجوه ومعان مختلفة:

- عطف قوله تعالى (وأن أكثرهم فاسقون) على ءامناً، لإفادة الجمع بين الإيمان

<sup>1</sup> - أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، ص: 67.

<sup>2</sup> - الزمخشري: الكشاف، ج1، ص: 650.





سورة المائدة: الآية ثلاثة وثمانون [.

قال الزمخشري: " فإن قلت: أي فرق بين منْ و مِنْ في قوله (مما عرفوا من الحق)؟ قلت: الأولى لابتداء الغاية، على أن فيض الدَّمع ابتداءً ونشأً من معرفة الحق، وكان من أجله وسببه، والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا . وتحتمل معنى التبويض على أنهم عرفوا بعض الحق، فأبكاهم وبلغ منهم، فكيف إذا عرفوه كلّهم وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسنة؟ ... "1.

من حروف الجرّ حرف الجرّ (من) الذي احتمل هو الآخر معانٍ مختلفة في هذا الموضع من الآية. فكان:

- لابتداء الغاية في قوله (تفيض من الدَّمع) لأن في فيض الدَّمع حق الابتداء، لأن نشأته؛ أي (فيض الدَّمع) يعود إلى معرفة الحق، فعندما قرأ عليه الصلاة والسلام بعض آيات الذكر الحكيم على جماعة من الناس فاضت أعينهم بالدَّمع وشهدوا بالحق وآمنوا.

- احتملت معنى (التبيين) في قوله (من الحق) العائد إلى اسم الموصول الذي هو (ما عرفوا)، وهو القرآن الكريم.

- أو معنى (التبويض) على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم، فما بال الكتاب كله وسنته صلى الله عليه وسلم، حيث قرئت عليهم بعض الآيات فأمنوا وفاضت أعينهم فشهدوا لنبيهم بأنه قد بلغ.

وفي معاني ( من ) يقول 'ابن مالك':

" بَعْضٌ وَبَيِّنٌ وَابْتَدَى فِي الْأَمْكِنَةِ بِمَنْ وَقَدْ تَأْتِي لِبَدءِ الْأَزْمَنَةِ "2

وقد ذكر لها 'ابن هشام' في كتابه مغني اللبيب - خمسة عشرة وجهاً"3.

1 - الزمخشري: الكشاف، ج1، ص: 670.

2 - باسمة درويش: الدليل إلى ألفية ابن مالك، ص: 48.

3 - ينظر: ابن هشام : مغني اللبيب، ج1، ص: 349.

ويبدو من تفسير الآية أن معنى ( من ) يؤثر على المقصود منها، فإذا كانت:

لابتداء الغاية دلّت الآية على أن فيض الدّمع مرده معرفة الحق ، ولمّا كانت للتبيين دلّت الآية على أن القرآن هو دين الحق . بينما لمّا كانت للتبويض دلّت الآية على أن بعض آيات الذكر الحكيم لمّا قرئت عليهم فاضت أعينهم.

هذه بعض المسائل النحوية التفسيرية كان للنحو فيها أثره البارز في توضيح المعنى القرآني، فمثلا :

بالنسبة لمتعلق (باء البسمة) دلّ على أن فيه حذفاً؛ لأن حرف الجر لا بد له من متعلق، دل الشروع على تعيينه وهو الفعل الذي جعلت التسمية في مبدئه من قراءة أو تلاوة ... .

كذلك بالنسبة لـ (اسم الإشارة) الواقع خبراً: فبما أن أسماء الإشارة لها دلالة القرب والبعد فإنّها على سبيل المثال في قوله تعالى (ذلك الكتاب) دلت على مشار إليه ليس ببعيد وهو الكتاب الموعود (القرآن الكريم)، لذلك جاء موقعها الإعرابي خبراً لإفادة الإخبار عنه.

دلالة التّأنيث على التّكثير عمل على توضيح حقيقة بعض الألفاظ القرآنية، فمثلا: تأنيث لفظة (عرفات) على صيغة التّكثير دلّ على أنّها اسم مكان لاجتماع النّاس بها يوم عرفة.

وبما أنّ الحروف الروابط تفصل بين الأبنية وتمنع اللبس ساعد ذلك المفسر في تحديد معاني الآيات، فمثلا: حرف العطف (الواو) يحيل إلى إيجاد معنيين في آن واحد وذلك لأن الواو يجمع بين أسلوبين مختلفين، فتفيد الجمع والمعية والتعليل ... لأغراض معيّنة .

أما الحرف (ثم) فقد أفاد الترتيب لغرض تنبيه المتلقي وتأكيد به بالأخذ بهذا الترتيب فيما يخص أركان الحج على سبيل المثال.

أعانت قاعدة (الحال) المفسر على بيان هيئة صاحبها فأفادت أغراض بلاغية كثيرة كالترهيب والترغيب والتعظيم ... ومن نحوها التنبيه إلى عظمة الخالق عز وجل في تقسيمه للأرزاق؛ أي قائماً بالقسط (عادلاً).

ساعد (البديل) المفسر أيضا في تحديد المقصود بالحكم، لأنّ بعض الأحكام القرآنية فيها معنى العموم فخصصت بالبديل.

ساعد التّمييز أيضا في إزالة الإبهام والغموض على بعض الألفاظ والتراكيب القرآنية، فلما قال سبحانه في سورة النساء في الآية الرابعة (طبن لكم) كان اللفظ مبهما فميّزه وخصصه بقوله نفسا.

اهتم المفسرون بتناوب الحروف لأنّ الحرف الواحد قد يحمل عدة معاني ومثال ذلك ما جاء في إضمار أن حيث جاء (أو) بمعنى (أن) فكان المعنى نفي أمر التوبة والعذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ولما كان بمعنى (إلا أن) كان المعنى تنبيها للنبي صلى الله عليه وسلم على أن أمر التوبة والعذاب يعود إلى الله عز وجلّ.

أهتم المفسرون بمعاني الحروف كذلك لأنها تؤثر على المعنى، كـ (من) مثلا لما كانت لابتداء الغاية دلت الآية على أن فيض الدمع مرده معرفة الحق، ولما كانت للتبيين دلت الآية على القرآن الكريم، ولما كانت للتبعيض دلت الآية على أن تلاوة بعض آيات الذكر الحكيم كانت سببا في فيض الدمع.

وبما أنّ الألفاظ قوالب المعاني، والمعاني تتغير لتغير الحركة الإعرابية فإنّ الموقع الإعرابي للفظة يحدد معنى السياق اللغوي، ودليل ذلك لفظة (غير) لما قرئت على الحركات الثلاث، غير بالنصب كانت بمثابة إلا الاستثنائية، غير بالرفع صفة للقاعدين غير بالجر صفة للمؤمنين.

## المبحث الثاني : دراسة تحليلية للرّبع الثاني من تفسير 'الكشاف'

ذكر العلامة الزمخشري الكثير من القضايا النحوية التفسيرية في هذا الرّبع من التفسير أيضا، ومنها نأتي بذكر:

### المطلب الأول: تقديم المبتدأ النكرة ( وأجل مسمى)

التقديم والتأخير كثير في النظم القرآني ، وقد مسّ مختلف العناصر التركيبية ، فكان في

كل منها شأنها وأهميتها في إفادة المخاطب بغرض ما ومعنى ما.

قال تعالى: ﴿...﴾  [ سورة الأنعام : الآية الثانية ]

قال الزمخشري في تفسيرها : " فإن قلت : المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفاً وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله ( ولعبد مؤمن خيراً من مشرك ) فإن قلت : الكلام السائر أن يقال : عندي ثوب جيد، ولي عبد كئيب، وما أشبه ذلك ، فما أوجب التقديم؟ قلت: أوجبه أن المعنى: وأي أجل مسمى عنده تعظيماً لشأن الساعة. فلما جرى هذا المعنى وجب التقديم" <sup>1</sup>.

تقدم المبتدأ النكرة (وأجل مسمى) على الخبر الذي هو الظرف (عنده) -الذي حقه التقديم-، بيانا لأجل القيامة (الساعة) تعظيماً لشأنها، فكان تنبيهاً إلى عظمة هذا اليوم وهوله، ولهذا الغرض وجب هذا التقديم.

يقول 'ابن هشام' في ذلك : " الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، لا نكرة لأن النكرة مجهولة غالباً والحكم على المجهول لا يفيد، ويجوز أن يكون نكرة إن كان عاماً أو خاصاً؛ فالأول كقولك "ما رجل في الدار" وقوله تعالى : "إله مع الله" فالمبتدأ فيها عام ؛ لوقوعه نكرة في سياق النفي والاستفهام والثاني كقوله تعالى: "ولعبد مؤمن خيراً من مشرك"، وقوله عليه الصلاة والسلام: خمس صلوات كتبهن الله في اليوم واللييلة ، فالمبتدأ فيهما خاص؛ لكونه موصوفاً في الآية، ومضافاً في الحديث" <sup>2</sup>.

وقال 'ابن الناظم': "قد يبتدئ بالنكرة (...)، لأن الإخبار عنها مفيد" <sup>3</sup>.

ويبدو أثر هذه القاعدة في التفسير في إفادة المخاطب بغرض ما هو (تعظيم يوم القيامة) للترهيب، لأن النكرة تدل على شيء مجهول، لذلك كان يوم الحساب مبهماً لا يعلمه غيره تعالى لإفادة غرض التعظيم، ولهذا الشأن تقدم المبتدأ النكرة تنبيهاً إلى هول هذا اليوم.

### المطلب الثاني: الاستفهام الإنكاري

1 - الزمخشري: الكشاف، ج2، ص: 4.

2 - ابن هشام : شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 156.

3 - ابن الناظم : شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ص: 80.

الاستفهام من الأساليب البيانية العظيمة التي جاء بها القرآن كونه وسيلة مهمة في إيصال الأفكار والأهداف.

جاء في الكشف في قوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانُوا آبَاءَ آبَائِكُمْ فَذَرْهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا حَلِيمًا﴾ [سورة الأنعام

: الآية أربعة عشر]: " أولي (غير الله) همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو (أَتَّخِذْ) لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليًا، لا في اتخاذ الولي، فكان أولى بالتقديم ونحوه (أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) (الله أذن لكم).<sup>1</sup>

ذكر النحاة بأن همزة الاستفهام ' أصل أدوات الاستفهام، ولها حق التّقدم والصدارة خصّت بأحكام كثيرة<sup>2</sup>، منها ما جاء في هذا الموضع، فكانت للإنكار في قوله سبحانه (قل أغير الله اتخذ وليًا)؛ أي الإنكار في اتخاذ غير الله وليًا لا في اتّخاذ الولي، فكان توبيخًا وسخرية من هؤلاء المشركين في اتّخاذهم أولياء غير الله.

ويتضح أثر هذه القاعدة في:

همزة الاستفهام لما دخلت مع (غير) أفادت الاستفهام فأحدثت معنى الإنكار في الجملة، ففرقت بين الاستفهام والخبر.

فلو قلت: حاذفا همزة (غير الله) فهذا كفر والعياذ بالله، لأنّ المشركين اتّخذوا غير الله أولياء، بينما أدخلت همزة فقلت (أغير الله) فأنت تنكر اتّخاذك غير الله وليًا؛ أي لا أتّخذ وليًا إلاّ الله وحده لا شريك له، وتؤكد عن ذلك.

وتقديم همزة الاستفهام على الفعل لغرض السخرية والتوبيخ من هؤلاء المشركين في اتّخاذهم أولياء غير الله.

ومنه الاستفهام الإنكاري هنا أبان وأكد معنى العبادة.

<sup>1</sup> - الزمخشري: الكشف، ج2، ص: 9.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 90.

يقول 'عبد القاهر الجرجاني': "وأعلم أنّ الهمزة (...) تقرير بفعل قد كان وإنكار له لم كان، وتوبيخ لفاعله عليه. ولها مذهب آخر وهو أن يكون لإنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله"<sup>1</sup>.

وقال الزمخشري في مفصله: " لحرف الإنكار معنيان: أحدهما إنكار أن يكون الأمر على ما ذكر المخاطب، والثاني إنكار أن يكون على خلاف ما ذكر كقولك لمن قال قدم زيد أزيد نية، منكرًا لقدمه أو خلاف قدمه. وتقول لمن قال غلبني الأمير: آلا ميره. قال الأخفش: كأنك تهزأ به وتتكبر تعجبه من أن يغلبه الأمير..."<sup>2</sup>.

### المطلب الثالث: دخول (لقد) على جواب القسم

القرآن الكريم غني بالأساليب، الاستفهام، التعجب، القسم، الشرط،...منها ما جاء في قوله عزّ وجلّ: ﴿...﴾

الأعراف: الآية تسعة وخمسون] يقول الزمخشري في بيانها: " (لقد أرسلنا نوحا )  
جواب قسم محذوف فإن قلت: ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع 'قد' وقلّ عنهم،  
نحو قوله:

حلفتُ لها بالله حنفةً فاجرٍ لناموا فما إن من حديث ولا صالي.

قلت : إنّما كان ذلك لأنّ الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيدا للجملة المقسم عليها، التي هي جوابها، فكانت مظنة لمعنى التّوقع الذي هو معنى "قد" عند استماع المخاطب كلمة القسم"<sup>3</sup>.

الجملة (لقد أرسلنا نوحا) جواب قسم محذوف مؤكدة، وأصلها ( والله لقد أرسلنا نوحا) لأن فيها وقع خاص في اتصال لام الابتداء ب (قد) لغرض التّوكيد من جهة، وإجراء معنى التّوقع مع (قد) عند استماع المخاطب كلمة القسم من جهة ثانية.

1 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 90.

2 - الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب: ص: 465.

3 - الزمخشري: الكشاف، ج1، ص: 112.



والمعنى: أنه تعالى قد أرسل سيدنا نوح -عليه السلام- إلى قومه مؤكداً ذلك بأنه أول رسول أرسل بعد سيدنا آدم عليه السلام إلى أهل الأرض<sup>1</sup>.

وذكر النحاة بأن (لقد) لفظ مركب من اللام الموطئة للقسم، و(قد) التي تأتي على ثلاثة أوجه ( اسم فعل واسم وحرف)، ولكل منها أغراضه ومعانيه.

ومقتضى كلام الزمخشري هنا (قد) للتوقع لا للتقريب<sup>2</sup>.

يبدو أثر هذه القاعدة في تفسير الآية: أن (قد) عملت على توقع الحدث لغرض التنبيه وتأكد هذا الخبر بدخول لام الابتداء على (قد) فقرب بذلك الماضي من الحال للترهيب.

ويتضح من البيت الشعري أنّ هناك فرقاً بين مجيء جملة الجواب بقدر وبدونها، فلو قيل لقد ناموا اختلف المعنى، أي ينامون الآن فلا تطمئن إليهم، أما مجيء الجواب بدون قد فينبغي أنهم ناموا حقيقة.

ومنه فإنّ مجيء جواب القسم بـ (لقد) قرب هذه القصة وهذه الأحداث للدلالة على قدرته تعالى تنبيها وترهيباً للعبارة والاعتبار.

### المطلب الرابع: حذف المخصوص بالذم

أخذ الزمخشري في تفسيره للآيات بأسلوب الحذف، الذي هو نوع من أنواع الإيجاز وفيه فوائد كثيرة.

منه ما في قوله تعالى: ﴿...﴾ منه ما في قوله تعالى: ﴿...﴾ [سورة الأعراف: الآية مائة وخمسون]: " ... والمعنى

بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله، أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله. فإن قلت: أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم؟ قلت: الفاعل مضمّر يفسره

1 - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص: 277.

2 - ينظر: ابن هشام: مغني اللبيب، ج1، ص: 196.

ما خلفتموني، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم<sup>1</sup>.

ورد الحذف في مواضع كثيرة في نظم القرآن الكريم، ومنها ما خصّ فعلي 'المدح والذم' من نحو هذه الآية، حيث حذف المخصوص بالذم (الخلافة) أما فاعله فكان مضمرًا دلت عليه عبارة (ما خلفتموني)، والأصل: بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم، والمعنى: "بئس ما صنعتم في عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وتركتكم"<sup>2</sup>، وفيها ذم لهؤلاء القوم في عبادتهم العجل وتركهم عبادة الله.

يقول الزمخشري: "وقد يحذف المخصوص إذا كان معلوماً للمخاطب كقوله تعالى: "نعم العبد أوّاب" أي نعم العبد أيوب، وقوله تعالى: "فنعم الماهدون" أي فنعم الماهدون نحن"<sup>3</sup>.

وجاء في شرح قطر الندى لابن هشام: "... ويجوز أن تحذفه -المخصوص بالمدح أو الذم- إذا دلّ عليه دليل، قال الله تعالى: "إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أوّاب" أي هو، أي أيّوب"<sup>4</sup>.

ويكمن أثر (حذف المخصوص بالذم) في هذه الآية في أنه كان أوقع للتنبية المباشر لهؤلاء القوم وترهيبهم، وكان الغرض منه التأسّف من حالهم وذمّهم لأخذهم بهذه العبادة.

### المطلب الخامس: توسع معاني الكاف

أخذ الزمخشري بمعاني الكاف في قوله تعالى: ﴿...﴾<sup>1</sup> [سورة الأنفال: الآية الخامسة]، قال الزمخشري: " ( كما أخرجك ربك ) فيه وجهان أحدهما: أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره، هذه الحال كحال إخراجك، يعني: أن حالهم في كراهة ما رأيت من تفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب، والثاني: أن ينتصب على أنه صفة مصدر للفعل المقدّر في قوله ( الأنفال لله و الرسول ) أي

<sup>1</sup> - الزمخشري: الكشاف، ج2، ص: 160.

<sup>2</sup> - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص: 308.

<sup>3</sup> - الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ص: 363.

<sup>4</sup> - ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 251.

الأنفال استقرت لله والرّسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون<sup>1</sup> .

يقول "إميل بديع يعقوب": "الكاف: تأتي بخمسة أوجه: 1-حرف جر غير زائدة. 2-حرف جر زائدة. 3- اسم بمعنى: مثل. 4-حرف خطاب. 5- ضمير للمخاطب"<sup>2</sup> ولكل وجه من هذه الأوجه عدة معاني.

أما و الحاصل في هذه الآية : فالكاف هي حرف جر غير زائدة من معانيها:

- التشبيه: إذا ما تعلق بخبر محذوف؛ أي هذه الحال كحال إخراجك.

- تعليل: إذا ما تعلق بصفة مصدر الفعل المقدر؛ أي الأنفال استقرت لله والرّسول.

وحرف 'الكاف' هاهنا له أثر واضح في تفسير الآية يكمن في إفادة المخاطب بهاته الحال وثبات هاته الأنفال لله والرّسول للاتعاظ، فأبان الحكمة من هذا الفعل، المتمثلة في الجهاد والعدل.

والمعنى أنه تعالى : "أخبركم لما كرهتم الخروج إلى الأعداء من قتال ذات الشوكة كان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدره لكم"<sup>3</sup>.

### المطلب السادس: إضمار فعل الشرط

ومن الأساليب التي اعتمدها الزّمخشري أيضا أسلوب الشرط، وفيه هو الآخر أغراضا

كثيرة منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْمُبْتَلِ ۚ ذُرِّيَّتَهُ لَكُمْ كَرِهَتِ ۚ مُبْتَلَيْنِ ۖ وَتَرْجَاهُ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذَا ظَاهَرُوا لَكُمْ عَدُوَّهُمْ أَذَّنُوا ۖ لَمَا كُنَّا مَعَهُمْ ۗ وَسَاءَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۗ ﴾ [سورة التوبة: الآية السادسة].

يقول الزّمخشري: (أحد) مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر، تقديره وإن استجارك أحد استجارك ، ولا يرتفع بالابتداء، لأن 'إن' من عوامل الفعل لا تدخل على

1 - الزّمخشري: الكشاف، ج2، ص: 197.

2 - إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ص: 322.

3 - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم، ج2، ص: 356.



الزّمخشري : 'فإن قلت: ما معنى قوله (يحمى عليها)؟ وهلا قيل: تحمى، من قولك: حمى الميسم وأحميته ولا تقول: أحميت على الحديد؟ قلت: معناه: أنّ النّار تحمى عليها، أي توقد ذات حمى وحرّ شديد، من قوله (نار حامية) ولو قيل : يوم تحمى لم يعط هذا المعنى، فإن قلت: فإذا كان الإحماء للنّار فلم ذكر الفعل؟ قلت: لأنّه مسند إلى الجار والمجرور، أصله:

يوم تحمى النّار عليها، فلما حذفت النّار قيل: يحمى عليها، لانتقال الإسناد عن النّار إلى عليها، كما تقول: رفعت القصّة إلى الأمير، فإن لم تذكر القصّة قلت: رفع إلى الأمير<sup>1</sup>.

معاني الألفاظ لمجرد اختلاف حرف واحد من حروفها يختلف المعنى.

- فمن قرأ (تحمى) بحرف (التاء) فليبين صفة النّار التي من حقها الإحماء أي ذات حمى وحر شديد، ومفادها: إثبات هذه الصّفة التي من عاداتها أن تخصّ النّار، وهذا مما لا يناسب مراده سبحانه في هذه الآية.

- أما من قرأ (يحمى) بحرف (الياء) فليبين الإحماء للنّار؛ أي يحمى عليها.

- فخصّ بالذكر عملها-، ومفادها للمبالغة وقوّة العذاب والهول.

يقول 'ابن هشام' في شرحه -قطر الندى وبل الصّدى- : "وذكرتُ أنّه -الفعل المضارع- لا بد أن يكون في أوله حرف من حروف 'نأيت' -وهي النون، الألف، والياء والتاء- نحو 'نقومُ، وأقومُ، ويقمُ، وتقومُ' وتسمى هذه الأربعة أحرف المضارع"<sup>2</sup>.

لقد أثر حرف (الياء) في تفسير الآية فأريد من الفعل عمل النّار وليس صفتها ، فلما كان العامل يدل على الحدوث والتّغيير والصّفة ثابتة أفاد ذلك المبالغة دليلاً على هول وقوّة العذاب تنبيهاً للقوم الكافرين.

**المطلب الثامن: تقديم خبر ليس عليها**

<sup>1</sup> - الزّمخشري: الكشف، ج2، ص: 268.

<sup>2</sup> - ابن هشام: شرح الندى وبل الصّدى، ص: 46.



قال النّحاة بأنّ الأفعال نوعان : لازمة ومتعدية، والمتعدية ثلاث أقسام: متعد لمفعول

به واحد، متعدي لمفعولين، ومتعدي لثلاث مفاعيل، وهي من مكملات الجملة لأنّها تضيف

شيئاً على ركني الإسناد للإفادة بخبر ما. أخذ بها الزّمخشري في تفسير قوله سبحانه :

﴿لَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ آلِ يَسْرِينَ إِذْ هُمْ فِي قَرْيَةٍ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لَأَخِي هَارُونَ إِنِّي إِذْ أَنَا فِي قَرْيَةٍ إِذْ قَالَ لَهُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ هَٰذَا أَمَا إِنِّي أَخِي هَارُونَ قَالَ نَعَمْ وَأَنَا هَارُونَ وَقَدْ كُنَّا مِن قَوْمِ لُوطٍ قَالَ إِنِّي خَشِيتُ أَن يَأْتِيََنَّكُمُ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ لُوطٍ فَأَخَذْتُمُوهَا وَأَخْرَجْتُمُوهُمْ وَأَخَذْتُمُوهَا فَمَا تُصِحُّونَ﴾ [سورة هود: الآية تسعة وثمانون] : قال

:" جرم مثل كسب في تعدية إلى مفعول واحد وإلى مفعولين نقول : جرم ذنبا وكسبه،

وجرمته ذنبا وكسبته إياه، قال :

جَرِمْتُ فِزَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْبُوا.

ومنه قوله تعالى (لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم) أي لا يكسبنكم شقاقي إصابة

العذاب. وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا، إذا جعلته جارما له؛ أي كاسبا وهو

منقول من جرم المتعدى إلى مفعول واحد، كما نقل: أكسبه المال، من كسب المال لا فرق

بين كسبته مالا وأكسبته إياه، فكذا لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه<sup>1</sup>.

الفعل "جرم" من أفعال الإعطاء وهو من الأفعال المتعدية الذي تعدى في هذه الآية إلى

مفعولين ، ضمير المخاطب ( كم ) : مفعول به أول، و ( أن يصيبكم ) : مفعول به ثان -

رغم أنّه من الأفعال المتعدية إلى مفعول واحد- فنُقل إلى ذلك ( بسبب تثقيل الحشو )

لإفادة المخاطب بحقيقة المصير.

يقول الجرجاني: " لا جرم: لا ردّ لظنهم، وقولهم الباطل، جرم ؛ أي كسب لهم فعلهم

الخسران"<sup>2</sup>

ويتبيّن من تفسير الآية أنّ الفعل "جرم" أبان حقيقة ما، هي حقيقة مصير هؤلاء القوم

المتتملة في الخسران لغرض التهديد والتوكيد.

1 - الزّمخشري: الكشاف، ج2، ص: 421.

2 - الجرجاني: درج الدرر، ج2، ص: 99.

جاء في المفصل للزمخشري: " وللتعدية أسباب ثلاثة: وهي الهمزة، وتثقيب الحشو وحرف الجرّ، تتصل ثلاثتها بغير المتعدي فتصيرُه متعديا، وبالمتعدي إلى مفعول واحد فتصيرُه ذا مفعولين: نحو قولك أذهبتَه، وفرّحتَه، وخرجت به، وأحفرته بئرا، وعلمته القرآن، وغضبت عليه الضيعة.

وتتصل الهمزة بالمتعدي إلى اثنين فتقله إلى ثلاثة نحو أعلمت<sup>1</sup>.

### المطلب العاشر: الاستثناء بـ (إلا)

أخذ المفسّرون بأسلوب الاستثناء لأنه يساعد هو الآخر على توضيح المعنى، ومنه

قوله تعالى: ﴿...﴾

[ سورة هود: الآية مائة وستة عشر ] قال الزمخشري "... (إلا قليلا) استثناء منقطع، معناه : ولكن قليلا ممّن أنجينا من القرون نهُو عن الفساد، وسائرهم تاركون النهي. (...). فإن : قلت: هل لوقوع هذا الاستثناء متّصلا وجه يحمل عليه؟ قلت: إن جعلته متّصلا على ما عليه ظاهر الكلام. كان المعنى فاسدا؛ لأنه يكون تحضيضا لأولى البقية على النهي عن الفساد إلا للقليل من النّاجين منهم، كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصّالحاء منهم، تريد استثناء الصّالحاء عن المحضضين على قراءة القرآن، وإن قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم، فكأنه قيل: ما كان من القرون أولوا بقية إلا قليلا، كان استثناء متّصلا ومعنى صحيحا، وكان انتصابه على أصل الاستثناء، وإن كان الأصح أن يرفع على البذل...<sup>2</sup>.

حصل الاستثناء في هذه الآية بالأداة (إلا)، وهو استثناء منقطع، على معنى: ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهُو عن الفساد، لأنّ ما سبقها من كلام هو كلام تام وموجب لم يسبقه نفي ولا استفهام-، والمستثنى (إلا قليلا من هؤلاء المتمسّكون بالدين نهُو عن الفساد) والمستثنى منه هم (المتمسّكون بالدين من البقية)

1 - الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ص: 341.

2 - الزمخشري: الكشف، ج2، ص: 437.



بينما إذا كان الاستثناء متصلاً ففيه وجهان:

- إذا كان متصلاً على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً، لأن فيه تحضيض لأولى البقية، وهو ما خالف مراده تعالى.

- أما إذا كان على معنى نفيه عنهم كان المعنى صحيحاً، لكن رفعه على البدل كان أفصح، لأن الفساد نفي عنهم وليسوهم الناؤون عنه.

والمعنى: "هلاً كان منهم من يتمسك بالبقية - ويحتمل بقية من الصالحين - من سنن آدم وشيت وإدريس، عليهم السلام، ينهون عن البدع في الأرض"<sup>1</sup>.

وأثر هذا الاستثناء في التفسير هو معرفة جنس هذه الفئة.

يقول "ابن هشام" في ذلك: "والمستثنى بإلا من كلام تام موجب، نحو: "فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ" فإن فقد الإيجاب تَرَجَّحَ البدلُ في المتصلِ نحو: "ما فعلوه إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ" والنَّصْبُ في المنقطع عند تميم، ووجب عند الحجازيين، نحو: مالهم به من علمٍ إِلَّا اتِّبَاعِ الظَّنِّ" ما لم يتقدَّم فيهما فالنَّصْبُ، نحو قوله:

وماليَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً وَماليَ إِلَّا مَذْهَبَ الحَقِّ مَذْهَبٌ

أو فُقِدَ التَّمَامُ فعلى حسب العوامل، نحو: (وما أمرنا إِلَّا واحدة) ويسمى مفرغاً<sup>2</sup>

### المطلب الحادي عشر: إنَّ وخبرها

أخذ الزمخشري بوجوه الإعراب في كثير من المواضع التفسيرية، منه قوله عز وجل

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ فِي شَيْءٍ سَوَاءً مَن كَانَ يَنْصُرُهُ أَيَّ يَاقِينٍ﴾ [سورة الحديد: 2]

وثلثون واثان وثلثون: قال الزمخشري: "(أولئك) خبر إنَّ و(إنَّا لا نضيع) اعتراض،

<sup>1</sup> - الجرجاني: دُرَج الدرر، ج2، ص: 118.

<sup>2</sup> - ابن هشام: شرح الندي وبل الصدى، ص: 330.

ولك أن تجعل (إنّا لا نضيع) و(أولئك) خبرين معاً، أو تجعل (أولئك) كلاماً مستأنفاً بياناً للأجر المبهم، فإن قلت: إذا جعلت (إنّا لا نضيع) خبراً، فأين الضمير الرَّاجع منه إلى المبتدأ؟ قلت: (من أحسن عملاً) و(الذين آمنوا وعملوا الصّالحات) ينتظمهما معنى واحد، فقام (من أحسن) مقام الضمير ...<sup>1</sup>.

قال "ابن الأنباري": إن قال قائل: لم أعلمت هذه الحروف؟ قيل لأنها أشبهت الفعل<sup>2</sup>.

وقال "إميل بديع يعقوب": "إن تأتي: حرفاً مشبهاً بالفعل يدخل على المبتدأ والخبر فينصب الأول ويسميه اسمه، ويرفع الثاني ويسميه خبره، ..."<sup>3</sup>.

في الآية احتمالات إعرابية:

- (أولئك)، (إنّا لا نضيع): إذا كانتا خبرين لـ (إن): فلإفادة السّامع -توكيداً- لهذا الخبر بأنّ هؤلاء المنعم عليهم، هم أولئك الذين آمنوا وعملوا الصّالحات، وأنّه سبحانه أكّد لهم ما ينتظرهم من أجر ونعم .

- أما إذا كانت (إنّا لا نضيع) جملة إعرافية، فللتقرير والبيان.

- أما من جعل (أولئك) (كلام مستأنف، فليبيان الأجر المبهم المتمثل في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار).

- أما المبتدأ الذي دلّت عليه عبارتي (من أحسن عملاً)، (الذين آمنوا وعملوا الصّالحات) فسبحانه أكّد بحرف التّوكيد (إنّ) توكيداً للتّوكيد، حيث ذكر الخبر المبهم وأبهم المبتدأ لإفادة المخاطب بهذا الخبر وتخصيصه بالأهمية عن المبتدأ.

يقول "ابن هشام": " الثامن من المرفوعات: خبر إنّ وأخواتها الخمسة فإنهن يدخلن على المبتدأ والخبر، فينصبين المبتدأ، (...)، ويسمى اسمها، ويرفعن خبره، (...)، ويسمى خبرها"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الزمخشري: الكشف، ج2، ص: 720.

<sup>2</sup> - ابن الأنباري: أسرار العربية، ص: 143.

<sup>3</sup> - إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ص: 86.

<sup>4</sup> - ابن هشام: شرح شذور الذهب، ص: 266.

وقال : "خبر إنَّ وأخواتها: أنَّ، ولكنَّ، وكأنَّ، وليتَ، ولعلَّ، (... ) ولا يجوز تقدُّمُهُ مطلقاً، ولا توسطُهُ إلاَّ إن كان ظرفاً أو مجروراً، نحو(إنَّ في ذلك لَعِبْرَةٌ) (إنَّ لدينا أنكالا)<sup>1</sup>. وهو الحاصل في تفسير الكشَّاف لهاته الآية الكريمة.

تبيِّن من هذا التفسير أنَّ الإعراب زاد من توضيح معنى الآية.

من هذه القضايا تم التوصل إلى:

- التَّقديم والتَّأخير باب واسع كثير الفوائد والغايات، أعان المفسرين في توضيح المعاني القرآنية، ففي تقديم المبتدأ النكرة (وأجل مسمى) مثلاً، فيه تنبيه المتلقي بهول يوم القيامة وعظمته وجاءت نكرة لأنَّ النكرة تحمل معنى الإبهام دلالة على أنَّ هذا اليوم لا يعلمه غيره عزَّ وجلَّ، بينما تقدم خبر ليس عليها في قوله تعالى: ( ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) لتنبية المتلقي بهذا الخبر وتأكيده.

- الاستفهام كشف عن معاني كثيرة وأغراض متنوعة وبعبارات مختصرة دالة على المقصود، من بينها الاستفهام الإنكاري حيث أنكر على المخاطب فعل أمر ما كقوله تعالى ( قل أغير الله أتخذ ولياً ) أي لا أتخذ ولياً إلا الله وحده لا شريك له، ومن أغراضه أيضاً الزجر واللوم، والأمر، والنهي، والإثبات... الخ.

- اجتماع اللام وقد مع الفعل الماضي في جواب القسم يعني القرب وبدونها؛ أي بدون قد يعني البعد فسبحانه لما قال (لقد أرسلنا نوحاً) أفاد ذلك تقريب تلك الصورة تنبيهاً وتأكيذاً للمتلقي على قدرته عزَّ وجلَّ.

- أسلوب الحذف أيضاً عمل على توضيح المعنى بالرغم من أنه نوع من أنواع الإيجاز، إلاَّ أنَّ النفس فيه تذهب كل مذهب ففي حذف المخصوص بالذم في قوله تعالى (بئسما خلفتموني) مثلاً، ترهيب قوم سيدنا موسى بعبادتهم العجل وتركهم عبادة الواحد الأحد.

- أسلوب الشرط كذلك من الأساليب الإنشائية البالغة في الدقة والأهمية في تحديد المعنى، والعامل هو الموجد للعلاقات التي تربط الكلم بعضه ببعض فقوله تعالى (وإن أحد

<sup>1</sup> - ابن هشام : المصدر نفسه، ص: 266.



لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة، وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو : أما أن يكون من تعريف الأسماء الغالبة كتعريف النجم والصَّعق، كأن تلك الصَّحراء كان فيها جذع نخلة متعالَم عند النَّاس، فإذا قيل : جذع النَّخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع هذه النَّخل، وإما أن يكون تعريف الجنس؛ أي جذع هذه الشَّجرة خاصة، كأن الله تعالى إنما أرشدها إلى النَّخلة ليطعمها منها الرُّطب الذي هو حرسة النفساء الموافقة لها،...<sup>1</sup>.

للتعريف والتتكير مزيته في بيان المعنى، فلما قال سبحانه (جذع النَّخلة) بالتعريف فهم منه أنه جذع نخلة خاصة، أما إذا قيل (جذع نخلة) بالتتكير كان المعنى عاما؛ أي أحال التعريف إلى حقيقة وشيء خاص، بينما أحال التتكير إلى شيء عام.

والغرض من هذا التعريف بيان جنس؛ أي هو جذع نخلة يابسة في الصَّحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة ، وكان الوقت شتاء بيانا لقدرته سبحانه إذا قال للشَّيء كن فيكون، بيانا لعظمته تعالى.

يقول الزمخشري: " فالعرفة ما دلَّ على شيء بعينه (...)، والنكرة ما شاع في أمته كقولك : جاغني رجل وركبت فرسا"<sup>2</sup>.

ويظهر أثر هذا التعريف والتتكير في التفسير في تحديد معاني الألفاظ وبيان جنسها حيث أن تعريف لفظة نخلة دلَّ على جنس معين فخصها سبحانه عن سائر النَّخل، بينما دلَّ التتكير على العموم والشمولية .

### المطلب الثاني: التوكيد بلام الابتداء

قال النَّحاة بأنَّ زيادة الحروف تعمل على زيادة المعاني الإفرادية والتركيبية فترفع التَّوهم بإثبات المعنى الأصلي وتقويته، جاء في الكشاف في الآية الكريمة : ﴿

③◆□ → ①◆□ ②◆□ ③◆□ ④◆□ ⑤◆□ ⑥◆□ ⑦◆□ ⑧◆□ ⑨◆□ ⑩◆□ ⑪◆□ ⑫◆□ ⑬◆□ ⑭◆□ ⑮◆□ ⑯◆□ ⑰◆□ ⑱◆□ ⑲◆□ ⑳◆□ ㉑◆□ ㉒◆□ ㉓◆□ ㉔◆□ ㉕◆□ ㉖◆□ ㉗◆□ ㉘◆□ ㉙◆□ ㉚◆□ ㉛◆□ ㉜◆□ ㉝◆□ ㉞◆□ ㉟◆□ ㊀◆□ ㊁◆□ ㊂◆□ ㊃◆□ ㊄◆□ ㊅◆□ ㊆◆□ ㊇◆□ ㊈◆□ ㊉◆□ ㊐◆□ ㊑◆□ ㊒◆□ ㊓◆□ ㊔◆□ ㊕◆□ ㊖◆□ ㊗◆□ ㊘◆□ ㊙◆□ ㊚◆□ ㊛◆□ ㊜◆□ ㊝◆□ ㊞◆□ ㊟◆□ ㊠◆□ ㊡◆□ ㊢◆□ ㊣◆□ ㊤◆□ ㊥◆□ ㊦◆□ ㊧◆□ ㊨◆□ ㊩◆□ ㊰◆□ ㊱◆□ ㊲◆□ ㊳◆□ ㊴◆□ ㊵◆□ ㊶◆□ ㊷◆□ ㊸◆□ ㊹◆□ ㊺◆□ ㊻◆□ ㊼◆□ ㊽◆□ ㊾◆□ ㊿◆□ ①◆□ ②◆□ ③◆□ ④◆□ ⑤◆□ ⑥◆□ ⑦◆□ ⑧◆□ ⑨◆□ ⑩◆□ ⑪◆□ ⑫◆□ ⑬◆□ ⑭◆□ ⑮◆□ ⑯◆□ ⑰◆□ ⑱◆□ ⑲◆□ ⑳◆□ ㉑◆□ ㉒◆□ ㉓◆□ ㉔◆□ ㉕◆□ ㉖◆□ ㉗◆□ ㉘◆□ ㉙◆□ ㉚◆□ ㉛◆□ ㉜◆□ ㉝◆□ ㉞◆□ ㉟◆□ ㊀◆□ ㊁◆□ ㊂◆□ ㊃◆□ ㊄◆□ ㊅◆□ ㊆◆□ ㊇◆□ ㊈◆□ ㊉◆□ ㊐◆□ ㊑◆□ ㊒◆□ ㊓◆□ ㊔◆□ ㊕◆□ ㊖◆□ ㊗◆□ ㊘◆□ ㊙◆□ ㊚◆□ ㊛◆□ ㊜◆□ ㊝◆□ ㊞◆□ ㊟◆□ ㊠◆□ ㊡◆□ ㊢◆□ ㊣◆□ ㊤◆□ ㊥◆□ ㊦◆□ ㊧◆□ ㊨◆□ ㊩◆□ ㊰◆□ ㊱◆□ ㊲◆□ ㊳◆□ ㊴◆□ ㊵◆□ ㊶◆□ ㊷◆□ ㊸◆□ ㊹◆□ ㊺◆□ ㊻◆□ ㊼◆□ ㊽◆□ ㊾◆□ ㊿◆□ ①◆□ ②◆□ ③◆□ ④◆□ ⑤◆□ ⑥◆□ ⑦◆□ ⑧◆□ ⑨◆□ ⑩◆□ ⑪◆□ ⑫◆□ ⑬◆□ ⑭◆□ ⑮◆□ ⑯◆□ ⑰◆□ ⑱◆□ ⑲◆□ ⑳◆□ ㉑◆□ ㉒◆□ ㉓◆□ ㉔◆□ ㉕◆□ ㉖◆□ ㉗◆□ ㉘◆□ ㉙◆□ ㉚◆□ ㉛◆□ ㉜◆□ ㉝◆□ ㉞◆□ ㉟◆□ ㊀◆□ ㊁◆□ ㊂◆□ ㊃◆□ ㊄◆□ ㊅◆□ ㊆◆□ ㊇◆□ ㊈◆□ ㊉◆□ ㊐◆□ ㊑◆□ ㊒◆□ ㊓◆□ ㊔◆□ ㊕◆□ ㊖◆□ ㊗◆□ ㊘◆□ ㊙◆□ ㊚◆□ ㊛◆□ ㊜◆□ ㊝◆□ ㊞◆□ ㊟◆□ ㊠◆□ ㊡◆□ ㊢◆□ ㊣◆□ ㊤◆□ ㊥◆□ ㊦◆□ ㊧◆□ ㊨◆□ ㊩◆□ ㊰◆□ ㊱◆□ ㊲◆□ ㊳◆□ ㊴◆□ ㊵◆□ ㊶◆□ ㊷◆□ ㊸◆□ ㊹◆□ ㊺◆□ ㊻◆□ ㊼◆□ ㊽◆□ ㊾◆□ ㊿◆□

وستون ] : " فإن قلت : لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال، فكيف جامع حرف الاستقبال؟ قلت : تجامعها إلا مخرجة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض وضمحل عنها معنى التعريف، وما في (إذا ما) للتوكيد أيضا، فكأنهم قالوا :

1 - الزمخشري: الكشاف، ج3، ص: 11.

2 - الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ص: 245.



تقدم الظرف ( إذ ) لأهميته، لغرض البيان والتأديب منه سبحانه وتعالى للعباد، أي كان من واجب الناس أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك التّكلم به، فسبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة نبيّه -عليه الصّلاة والسّلام- و( إذ ) هنا جاءت ظرفية دلّت على الزّمن الماضي، وفيها يقول "إميل بديع يعقوب" : "إذ : تأتي بثلاثة أوجه: ظرفية، فجائية، تعليلية"<sup>1</sup>.

أما أمر تقديمها فقد قال فيه ابن هشام: "ويتسعون في الظروف والمجرور ما لا يتسعون في غيرها"<sup>2</sup>

ويتّضح من تفسير الآية أنّ تقدّم الظرف كان لغرض البيان؛ أي بيان هذا الخبر للتنبية والتأديب.

### المطلب الرابع: التوكيد بـ ( قد )

ورد التوكيد في مواضع قرآنية متعددة، أخذ به الزمخشري في تفسيره هذه الآية

مثلاً: ﴿لَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ طَرَفًا لَّنَبِيٍّ ذَا ذِكْرٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة النور: الآية أربعة وستون] .

قال الزمخشري : " ... أدخل ( قد ) ليؤكد عمله بما هم عليه من المخافة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، وذلك أنّ (قد) إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى 'ربما' فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التّكثير في نحو قوله:

فإن تَمَسَّ مهجوز الفناء فربّما أقام به بعد الوفود وفوداً.

ونحوه قول 'زهير':

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنّه قد يهلك المال نائله.

3- إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ص: 48.

4- ابن هشام: مغني اللبيب، ج2، ص: 507.





قيل : ... والحروف العوامل في النحو أطراف الكلمات الرابطة بعضها ببعض (...)  
والحرفية: هي صفة الأدوات المؤثرة في غيرها، لإحداث المعاني في الأبنية أو المفردات  
وفي التراكيب أو الجمل والأساليب<sup>1</sup>.

ومن هذه الحروف أو الأدوات : الاستفهام بـ"ما"، الذي أتى في مواضع قرآنية  
كثيرة، ولأغراض متعددة.


فحرف (ما) في هذه الآية الكريمة – المتضمنة لمعنى الاستفهام- جاء في موضع  
المصدر للتخصيص، لغرض النفي.

فسبحانه خلق خلقه حتى يعبدوه ويسبحوه، فكفروا به، فأخبرهم بأنه لا يبالي لهم، ولا  
يكثرث لأمرهم، لهذا كان تكذيبهم هذا إلزاما لهلاكهم.

ويكمن أثر هذه القاعدة في أنّ الحرف (ما) لما دخل على الفعل (يعبوا) أفادت النفي  
والحرفية في ( ما ) أثرت في الفعل فأحدث معنى في التركيب ساهم في تحديد المقصود  
منه.

### المطلب السادس: حذف حرف الاستفهام

من مواضع الحذف "حذف حرف الاستفهام" الذي ورد في هذه الآية الكريمة حيث قال

سبحانه : ﴿  ﴿ [ سورة الشعراء: الآية مائتان  
وواحد وعشرون].

جاء في الكشاف : "... فإن قلت: كيف دخل حرف الجرّ على "من" المتضمنة لمعنى  
الاستفهام، والاستفهام له صدر الكلام؟ ألا ترى إلى قولك: أعلى زيد مررت؟ ولا تقول:  
على أزيد مررت؟ قلت: ليس معنى التضمن أن الاسم دلّ على معنيين معا: معنى  
الاسم، ومعنى الحرف، وإنما معناه: أن الأصل أمن، فحذف حرف الاستفهام واستمر  
الاستعمال على حذفه، كما حذف من "هل" والأصل: "أهل". قال:

أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

<sup>1</sup> - عبد الوهاب حسن حمد: النظام النحوي في القرآن العظيم، ص: 356.

فإذا أدخلت حرف الجرّ على "من" فقدّر الهمزة قبل حرف الجرّ في ضميرك، كأنك تقول:  
أعلى من تنزل الشياطين، كقولك: أعلى زيد مررت<sup>1</sup>.

حذف ألف الاستفهام كثير في النظم القرآني، وهو من أشهر مواطن الحذف كما قال النحاة.

وما سيق في هذه الآية فلغرض التنبية والتقرير والتخصيص، بأنّ الشياطين تنزل على هذا " الكذوب في قوله، الذي هو الأفاك،...، الفاجر في أفعاله"<sup>2</sup>.

يقول "الزمخشري" في باب حرفا الاستفهام: " وهما الهمزة وهل في نحو قولك أزيد قائم؟ وأقام زيد؟ وهل عمرو خارج؟ وهل خرج عمرو؟ والهمزة أعم تصرّفا في بابها من أختها... .

وتحذف الهمزة إذا دل عليها الدليل، قال عمر بن أبي ربيعة:

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا      بسبع رمين الجمر أم بثمان

والاستفهام صدر الكلام لا يجوز تقدم شيء مما في حيّزه عليه لا تقول: ضربت أزيذا وما

أشبه ذلك<sup>3</sup>.

ويكمن أثر هذه القاعدة في طلب الإفهام والإخبار، وقولنا مثلا أعلى من تنزل الشياطين؟ فالسائل يطلب الإفهام والإخبار على من تنزل الشياطين..، ولتقلها بدخولها مع حرف الجرّ قدرت.

### المطلب السابع : التوكيد بالضمير

من مواطن التوكيد أيضا ما ورد في الكشّاف في قوله تعالى:

﴿وَأَنذَرْتُكَ نَارَ الْكَاذِبِينَ﴾      ﴿وَأَنذَرْتُكَ نَارَ الْكَاذِبِينَ﴾      ﴿وَأَنذَرْتُكَ نَارَ الْكَاذِبِينَ﴾  
﴿وَأَنذَرْتُكَ نَارَ الْكَاذِبِينَ﴾      ﴿وَأَنذَرْتُكَ نَارَ الْكَاذِبِينَ﴾      ﴿وَأَنذَرْتُكَ نَارَ الْكَاذِبِينَ﴾

1 - الزمخشري: الكشاف، ج3، ص: 342.

2 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3، ص: 406.

3 - الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ص: 437.



يتبيّن من هذا التّفسير أنّ التّوكيد بالضّمير أثر على المعنى، فقولنا مثلاً لفظة مولود دون الضّمير تحيل إلى احتمالات أخرى، فأكدت بالضّمير.

### المطلب الثّامن: التّوكيد بالمصدر

ومما قاله إمامنا في ضرب التّوكيد كذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾ وما قاله إمامنا في ضرب التّوكيد كذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾

الثّامنة والتّاسعة]: " (وعد الله حقا) مصدران مؤكّدان، الأوّل لنفسه والثّاني مؤكّد لغيره، لأنّ قوله (لهم جنّات النّعيم) في معنى : وعدهم الله جنّات النّعيم فأكدّ معنى الوعد بالوعد. وأما (حقا) فدلّ على معنى الثّبّات: أكّد به معنى الوعد. ومؤكّدهما جميعاً قوله (لهم جنّات النّعيم)،...<sup>1</sup>.

ذكر النّحاة أبواباً كثيرة ومتفرقة في دراساتهم تفيد التّوكيد، منها التّوكيد بالمصدر.

وقوله تعالى ( وعد الله حقا ) تتضمن مصدران هما: "وعد" و"حقا" أما ( وعد ) فمؤكّد لنفسه بمعنى: أكّد معنى الوعد بالوعد؛ أي وعدهم الله جنّات النّعيم.

أما ( حقا ) فمؤكّد دلّ على معنى الثّبّات، فأكدّ به معنى الوعد.

فسبحانه أعلم عباده الصّالحين بمصيرهم (جنّات النّعيم) فعلموا ذلك.ولمّا قال وعد الله حقا إنّما أكّد وعده هذا أنّه ثابت عليه لا رجعة فيه، فزاد إثباتاً لذلك بقوله حقا؛ أي هذا القول قول حق ووعد حق.

يقول 'سيبويه' في باب ما يكون المصدر فيه توكيدا لنفسه نصبا : "وذلك قولك : "له عليّ ألف درهمٍ عرفاً" ومثّل ذلك قول 'الأحوص' :

إني لأمنحك الصّدودَ وإنّي قسماً إليك مع الصّدودِ لأميلُ.

وإنما صار توكيدا لنفسه لأنه حين قال : " له عليّ " فقد أقرّ واعترف وحين قال "لأميل" علم أنه بعد حلفٍ؛ ولكنه قال: عُرْفًا وَقَسَمًا توكيدا، كما أنه إذا قال : يسيرَ عليه فقد علم أنه كان سَيْرٌ، ثم قال : "سيرا" توكيدا <sup>1</sup>.

وقد أوضح المبرّد ذلك أيضا قائلا : " وذلك قولك : هذا زيد حقا لأنك لما قلت: هذا زيد فخبّرت إنما خبّرت بما هو عندك حق، فاستغنيت عن قولك: أحق ذلك ... ولو قلت : هذا زيدُ الحق لكان رفعه على وجهين وليس على ذلك المعنى، ولكن على أن تجعل (زيدا) هو الحق وعلى أنك قلت: هذا زيدُ، ثم قلت الحق، تريد قولي هو الحق، لأن هذا زيد إنما هو قولك.

وتقول : هذا القول لا قولك، أي ولا أقولُ قولك، فتأويل هذا أنّ قولك بمنزلة هذا القول حقا، وهذا القول غير قيل باطل لأنه توكيد للأول <sup>2</sup>.

وأثر هذا التوكيد هو للإثبات والتوضيح، لأنّ الألفاظ لم تكن صياغتها هكذا عبثا داخل التركيب وإنما هي لعظيم شأنها، وإثبات العبرة منها.

### المطلب التاسع: حمل لفظة (الرحمة) على اللفظ والمعنى

أخذ الزمخشري بقاعدة الحمل على اللفظ والمعنى في بيانه للمعاني القرآنية، منها ما ورد في قوله عزّ وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالْعُرْشُ كَمَا اتَّقَوْا وَاللَّهَ عِزًّا وَقُولُوا لِلَّهِ حَقَّ قَوْلِهِ﴾ [سورة فاطر: الآية الثانية] ، قال: " فإن قلت : لم أنت الضمير أولا، ثم ذكر آخر؟ وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط؟ قلت : هما لغتان : الحمل على المعنى واللفظ، والمتكلم على الخيرة فيهما، فأنت على معنى الرحمة، فحسن إتيان الضمير التفسير، ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير، وقرئ فلا مرسل لها، فإن قلت: لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره؟ قلت: يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول ولكنه ترك لدلالته عليه، وأن

<sup>1</sup> - سيويه: الكتاب، ج1، ص: 448.

<sup>2</sup> - المبرّد : المقتضب، ج3، ص: 266.

يكون مطلقا في كل ما يمسه من غضبه ورحمته، وإنما فسّر الأول دون الثاني للدلالة على أنّ رحمته سبقت غضبه ...<sup>1</sup>.

لفظ الرّحمة لفظ يخص المؤنث كما يخص المذكر، سواء كان مفردا أم مثني أم مجموعا.

وقوله تعالى: ( ما يفتح الله للنّاس من رحمته ) حمل على اللفظ ( فلا ممسك لها )، ثم قال ( وما يمسه فلا مرسل له ) بالحمل على المعنى، وكلا التعبيرين راجع إلى الرّحمة.

والحمل هنا جاء لغرض بيان الرّحمة أمفردة أم جمع، أم مذكر أم مؤنث من قبيل البيان بعد الإبهام، فسّر لنا أنّ الرّحمة عامة تخص جميع النّاس .

يقول "ابن جنّي" في باب الحمل على المعنى : " اعلم أنّ هذا الشرح غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنظوما"<sup>2</sup>.

والمعنى: " أنّ غضب الله غير مضاد رحمته، فإنّه يريد الخير والشرّ على قضية حكمه لا على قضية رقّة محرقة أو حدّة مقلقة"<sup>3</sup>

وأثر هذه القاعدة يكمن في شرح بعض الألفاظ المبهمة وبيانها.

### المطلب العاشر: مجيء الفعل (تثيير) على صيغة المضارع

اعتمد المفسّرون كذلك في توضيحهم لمعاني القرآن على وظيفة الأفعال اللّغوية، لأنّ النّحاة قالوا بأنّ الأفعال تدل على الحدوث والتّجدد، ومعرفتها تساعد على كشف

المعنى، ومن ذلك قول العزيز القدير: ﴿مَنْ يَشْرِكْ بِاللّٰهِ فَهُوَ كَالْهٰكِكِ الَّذِي سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ وَهُوَ كَالرَّابِقِ الْمَقْطُوعِ ۗ﴾ [سورة فاطر: الآية التاسعة].

1 - الزمخشري: الكشاف، ج3، ص: 596.

2 - ابن جنّي: الخصائص، ج2، ص: 411.

3 - الجرجاني: دُرّج الدرر، ج2، ص: 494.

قال الزمخشري في تفسيرها : ... فإن قلت : لم جاء ( فتثير ) على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلت : ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية، بحال تستغرب، أو تهمّ المخاطب، أو غير ذلك، (...)، وكذلك سوق السحاب إلى البلد، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها: لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل: فسقنا، وأحيينا، معدولا بهما على لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه<sup>1</sup>.

للأفعال دورها هي الأخرى في تحديد المعنى وبيانه، ومنها الفعل المضارع (تثير) في هذه الآية، حيث اقترن بحرف ( الفاء ) على سبيل الشرط لحكاية الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، فأحيا الأرض بعد موتها، وكذلك يحي الأجساد فسبحانه القادر العظيم.

وعليه دلّ فعل المضارعة هنا على القدرة الربانية لغرض التعجب والعبارة لمن يعتبر.

يقول "ابن هشام" في مغني اللبيب : " أنهم يعبرون عن الماضي والآتي كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصدا لإحضاره في الذهن حتى كأنه مُشَاهِدٌ حالة الإخبار، ..."<sup>2</sup>.

وجاء في شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك قوله: "ولا ينصب الفعل بعد الفاء مسبوقه بغير نفي أو طلب إلا لضرورة (...). أو لتقدم ترجّ أو شرطٍ أو جزائه (...). ولذلك وجب رفع ما بعد الفاء في نحو: ما أنت إلا تأتينا فتحدّثنا وما تزال تأتينا فتحدّثنا، ..."<sup>3</sup>.

ويظهر أثر هذه القاعدة في تفسير الآية في أنه سبحانه لما عطف بحرف الفاء الفعل (فسقناه) في صيغة الماضي على الفعل المضارع (تثير) فجعل الفعل الماضي في معنى الفعل المضارع فلتصوير هذه الحال دلالة على القدرة الربانية، فكانت هذه الأفعال براهين قاطعة على هذه القدرة.

1 - الزمخشري: الكشاف، ج3، ص: 601.

2 - ابن هشام: مغني اللبيب، ج2، ص: 501.

3 - ابن الناظم: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ص: 483.

## المطلب الحادي عشر: مجيء لفظ (السيئات) صفة للمصدر

قال الزمخشري في الآية الكريمة: ﴿...﴾  
﴿...﴾  
﴿...﴾

[سورة فاطر: الآية العاشرة]: "... فإن قلت : مكر: فعل غير متعدّ، لا يقال: مكر فلان عمله فبِمَ نصب (السيئات) ؟ قلت: هذه صفة للمصدر، أو لمّا في حكمه، كقوله تعالى ( ولا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله) أصله: والذين مكروا المكرات السيئات. أو أصناف المكر السيئات، وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداولوا الرأى في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم: إمّا إثباته، أو قتله أو إخراجة كما حكى الله سبحانه عنهم (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك) ...<sup>1</sup>.

نصبت السيئات لأنّها صفة للمصدر الذي دلّ عليه الفعل الثلاثي غير المتعدي (مكر)؛ أي المكرات، فدلت حينها لفظة 'السيئات' على أنّها نوع من أنواع المكر.

وفي ذلك يقول 'ابن الانباري': " فإن قيل: فلم كان قولهم : سرت أشدّ السيّر، منصوبا على مصدر؟ قيل: لأن 'أفعل' لا يضاف إلاّ إلى ما هو بعض له وقد أضيف إلى المصدر الذي هو السيّر، فلما أضيف إلى المصدر كان مصدرا فانتصب انتصاب المصادر كلها.

فإن قيل: فعلى ماذا ينتصب قولهم : قعد القرفصاء، ونحوه؟ قيل: ينتصب على المصدر بالفعل الذي قبله؛ لأن القرفصاء لمّا كانت نوعا من القعود والفعل الذي هو 'قعد' يتعدى إلى جنس القعود الذي يشتمل على القرفصاء وغيرها، تعدى إلى القرفصاء التي هي نوع منه؛ لأنّه إذا عمل في الجنس عمل في النوع، إذا كان داخلا تحته، ...<sup>2</sup>.

من تفسير الآية يبدو أنّ أثر هذه القاعدة في التفسير يكمن في أنّ صفة المصدر أبانت جنس اللفظ؛ أي السيئات هي نوع من أنواع المكر.

من خلال ما تقدم نستنتج:

1 - الزمخشري: الكشاف، ج3، ص: 603.

2 - ابن الانباري: أسرار العربية، ص: 165.



-التعريف من أسرار النظم القرآني له دلائل كثيرة منها بيان الجنس، العهد، التعظيم  
التفخيم ... ، وتعريف لفظة (النخلة) مثلا دل على أنها نخلة خاصة معينة دلالة على  
قدرته تعالى وعظمته.

- زيادة الحروف تعمل على زيادة المعاني الإفرادية والتركيبية فترفع التوهم بإثبات  
المعنى الأصلي وتقويته، ومثالها دخول لام الابتداء على الأسماء والأفعال المضارعة  
وسوف من نحو (لأنتم، لسوف، ليحكم ...) للتوكيد .

- تقديم الظروف له أهمية بالغة في إفادة المخاطب بخبر ما فأدى أغراضا متنوعة منها  
التنبيه، والتأديب، والبيان، ... الخ.

- الحرفية في قد أفادت إجابة التحقيق والتوكيد والتكثير فساعدت المفسر في تحديد معنى  
الفعل.

- الحرفية في (ما) أثرت في الفعل فأحدثت معنى في التركيب أعان المفسر في تحديد  
المقصود منه .

- الاستفهام يعني طلب الإفهام والإخبار وأثره في التفسير بيان الخبر.

- التوكيد يؤكد المعنى ويؤسس لمعنى ثان.

- قاعدة الحمل على اللفظ والمعنى تساعد في بيان معنى بعض الألفاظ المبهمة وشرحها  
من خلال التراكيب.

- وظيفة الفعل اللغوية عملت على تصوير الحدث وكأنه مشاهد .

- صفة المصدر تحدد جنس الألفاظ.

## المبحث الرابع: دراسة تحليلية للربيع الرابع من تفسير الكشاف

ومما ذكره المؤلف -رحمه الله- من قضايا نحوية تفسيرية في هذا الربيع كذلك مايلي:

المطلب الأول: جمع لفظة مثاني

ومما اعتمده المؤلف في تفسيره أيضا صيغ الكلمات، ومنها ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَمَا يَكْفُرُ لَكَ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا جُفَاءً﴾ [سورة الزمر: الآية ثلاثة وعشرون]: "...، ويجوز أن يكون (مثنائي) بيانا لكونه متشابها؛ لأن القصص المكررة لا تكون إلا متشابهة، والمثنائي جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر، ولما تثنى من قصصه وأنبأه، وأحكامه، ... وقيل لأنه يثنى في التلاوة، فلا يمل ... ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعول من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما كان قوله تعالى ( ثم ارجع البصر كرتين ) بمعنى كررة بعد كررة، وكذلك : لبيك وسعديك وحنانيك، فإن قلت: كيف وصف الواحد بالجمع؟ قلت: إنما صح ذلك، لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل، وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير. ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس، وسور وآيات، وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات.

ونظيره قولك: الإنسان عظام وعروق وأعصاب، إلا أنك تركت الموصوف إلى الصفة؛ وأصله: كتابا متشابها فصولا مثنائي (...). فإن قلت : ما فائدة التثنية والتكرير؟ قلت: النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودًا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله. ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرّات وسبعًا، ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم<sup>1</sup>.

تعتبر التثنية ضرب من ضروب الجمع، وما ورد منها في هذه الآية كان لغرض التأكيد وإثبات النصح والإرشاد والموعظة، ومن ثمة الثبات على دين الحق.

يقول 'ابن فارس': " الرّتب في الأعداد ثلاث: رتبة الواحد، ورتبة الاثنين، ورتبة الجماعة، فهي للتوحيد والتثنية والجمع، لا يزاحم في الحقيقة بعضها بعضها، فإن عبّر عن واحد بلفظ جماعة، أو اثنين بلفظ جماعة فذلك كله مجاز، والتحقق ما ذكرناه، فإذا قال القائل: (عندي دراهم أو أفراس أو رجال فذلك كله عبارة عن أكثر من اثنين، ..)<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - الزمخشري: الكشاف، ج4، ص: 123.

<sup>2</sup> - ابن فارس: الصحاح، ص: 142.

ويقول "ابن الانباري" أيضا : " فإن قيل: ما الجمع؟ قيل: صيغة مبنية للدلالة على العدد الزائد على الاثنين، والأصل فيه أيضا العطف كالتثنية إلا أنهم لما عدلوا عن التكرار في التثنية طلبا للاختصار، كان ذلك في الجمع أولى"<sup>1</sup>.

ومنه: فقله تعالى (مثنوي) جمع مثنى لبيان أن القرآن متشابه يشبه بعضه بعضا، ويُرد بعضه على بعض... الخ من الأوجه التفسيرية.

لقد أثرت صيغة الجمع في هذه القضية التفسيرية فأفادت الكثير من المعاني والأغراض وهو أن القرآن في مجمله متشابه لأنه جملة من تفاصيل ، وقصص، وأحكام... لذلك جاءت هذه اللفظة على هذه الصيغة للتقرير وتأكيد النصح والإرشاد والموعظة.

### المطلب الثاني: التوكيد بـ (ما)

قال النحاة أن الزيادة تولد معاني مختلفة في التركيب وأغراضا معينة ، وهي قد تكون

حرفا كما قد تكون اسما أو فعلا أو جملة،... ولذلك أخذ به المفسرون في تفاسيرهم.

قال العزيز الغفور: ﴿...﴾  
 قال الزمخشري في بيانها: "... فإن قلت : (ما) في قوله (حتى إذا ما جاءوها) ما هي؟ قلت: مزيدة للتأكيد، ومعنى التأكيد فيها : أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم، ولا وجه لأن يخرج منها، ومثله قوله تعالى ( أثم إذا ما وقع آمنتم به) أي لا بدّ لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام، وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من المحرّمات ..."<sup>2</sup>.

(ما) في قوله تعالى ( ما جاءوها) حرف زائد لغرض تأكيد المعنى؛ أي وقت مجيئهم

<sup>1</sup> - ابن الانباري: أسرار العربية، ص: 64.

<sup>2</sup> - الزمخشري: الكشاف، ج4، ص: 195.

النَّارِ بلا منازع سوف تشهد عليهم أبصارهم وجلودهم وسمعهم بما كانوا يعملون، لأن معنى المجيء موجود أصلاً داخل التركيب، وما حرف الزيادة (ما) إلا لتأكيدِه.

يقول 'ابن هشام': " وتزاد بعد أداة الشرط جازمة كانت نحو (أينما تكونوا يدرككم الموت) (وإمّا تخافنّ) أو غير جازمة نحو (حتى إذا ما جاءوها شهّد عليهم سمعهم) وبين المتبوع وتابعه في نحو (مثلاً ما بعوضة) قال الزجاج : ما حرف زائد للتوكيد عند جميع البصريين"<sup>1</sup>.

ويبدو أثر هذه القاعدة (زيادة الحرف ما) في أنه وجّه المفسّر إلى المعنى المراد حيث دلّ (ما) على معنى الحدث وأكّده ؛ أي (وقت المجيء) سوف يحدث فيه كذا.

### المطلب الثالث: المفعول لأجله

قال علماء النحو أنّ المفعول لأجله من مكملات الجملة لأنه يضيف عليها شيئاً جديداً

وهو مصدر منصوب يبيّن سبب حدوث العامل، ويشترك معه في الزمان والفاعل. أخذ به

الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿...﴾  
الزَّمخْشَرِي فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿...﴾  
...  
[ سورة الحجرات: الآية الثانية ].

يقول : " ... (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع، على أنه مفعول له، وفي متعلقة وجهان، أحدهما: أن يتعلق بمعنى النهي، فيكون المعنى: انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم؛ أي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى ( يبين الله لكم أن تضلوا) والثاني: أن يتعلق بنفس الفعل، ويكون المعنى: أنهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لأجل الحبوط، لأنه لما كان بصدد الأداء إلى الحبوط : جعل كأنه فعل لأجله، وكأنه العلة والسبب في إيجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى (ليكون لهم عدوا) ..."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - ابن هشام: مغني اللبيب ، ج1، ص: 344.

<sup>2</sup> - الزمخشري: الكشاف، ج4، ص: 354.

يقول "ابن هشام" في تعريف المفعول لأجله : " هو مصدر معلل لحدث مشارك لهفي الزمان كل والفاعل "1.

وقوله عزّ وجل (أن تحبط أعمالهم) جاءت مفعولا لأجله فيه وجهان:

-إذا كان بمعنى النهي، فسبحانه ذكر علّة الفعل التي هي الخشية، وزمنها هو زمن فعلها، والفاعل واحد وهم المخصصون بالخطاب (الذين آمنوا) وهم المؤمنون، وإليهم وجه النداء بالنهي؛ لعلّة الخشية -المتضمن في هاته العبارة الكريمة- لتفادي هذا الفعل والتأدب.

يقول الحافظ "ابن كثير" " إنّما ينهاكم عن رفع الصّوت عنه خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه، فيحبط الله عمل من أغضبه وهو لا يدري "2.

" وهذا أدب أدب الله تعالى به المؤمنين ألا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته "3.

فمصدر الخشية (العلّة) ارتبط برفع الصّوت (الحدث) فبرز المعنى لملازمة رفع الصّوت (الفعل)، الحدث.

أما إذا تعلق المعنى بنفس الفعل، فالمعنى ليس ببعيد عن سالفه، لأنّ في فعل الأداء للفعل ارتباط بالسبب لفعله، فنهاهم سبحانه عن ذلك؛ لأنّ في فعلتهم هاته - رفع أصواتهم - سيغضب الله عليهم لغضب نبيّه عليه الصلاة والسلام؛ أي تفادي هذا الفعل وتركه لأنّه سبحانه أمر النّاس بالتأدب أمام النبي عليه الصّلاة والسّلام قولاً وفعلًا.

من هذا يتّضح لنا: أنّ المفعول لأجله له دور فعال في إيضاح المعنى وبيانه وذلك من خلال تعلّقه بالفعل الذي سبقه. فبيّن في هذا الموضع سبب حدوث (رفع الصّوت) للتأدب.

**المطلب الرابع: المتعدي بحرف (الباء)**

1 - ابن هشام: شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 305.

2 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص: 243.

3 - ابن كثير: المصدر نفسه، ج4، ص: 241.

من صور الأفعال المتعدية المتعدي بحرف الباء الذي أخذ به الزمخشري في تفسيره  
لهذه الآية : ﴿ ٥٠٩ ٥٠٨ ٥٠٧ ٥٠٦ ٥٠٥ ٥٠٤ ٥٠٣ ٥٠٢ ٥٠١ ﴾ [سورة ق : الآية تسعة عشر]، يقول : "... والباء  
في بالحق للتعدية، يعني : وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي أنطق الله به  
كتابه، وبعث به رسله أو حقيقة الأمر وجليّة الحال: من سعادة الميّت وشقاوته، وقيل :  
الحق الذي خلق له الإنسان، من أن كل نفس ذائقة الموت ...<sup>1</sup>.

في عموم حرف (الباء) أن يأتي : " حرفاً للجرّ دائماً، وقد يحذف ويبقى عملها كما قد  
تستعمل للقسم، أو زائدة"<sup>2</sup>، ولحرف الجرّ أربعة عشر معنى، منها التعدية.

وما كان في هذه الآية فالتعدية بمعنى: أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر، والغرض  
منها: التّهويل، على أنه خطاب وجهه للإنسان في إنكاره ليوم البعث.

ويبدو أثر هذه القاعدة في إفادة المخاطب بهذا الخبر، حيث أنّ الفعل (جاء) تعدى إلى  
مفعول به هو (حقيقة الأمر) ، دلّ عليه حرف الجرّ المتعلّق بلفظة "الحق" فدلت لفظة  
الحق على حقيقة الأمر؛ أي حقيقة سكرة الموت ، يوم البعث، اليوم الموعود بحق؛ أي  
وجاءت سكرة الموت ومعها الحق.

### المطلب الخامس: دخول "لا" النافية على القسم

اعتمد المؤلف أيضا على قاعدة (دخول حرف النفي على فعل القسم)، ومنها ما جاء في  
قوله تعالى ﴿ ٥٠٩ ٥٠٨ ٥٠٧ ٥٠٦ ٥٠٥ ٥٠٤ ٥٠٣ ٥٠٢ ٥٠١ ﴾ : ﴿ ٥٠٩ ٥٠٨ ٥٠٧ ٥٠٦ ٥٠٥ ٥٠٤ ٥٠٣ ٥٠٢ ٥٠١ ﴾  
﴿ ٥٠٩ ٥٠٨ ٥٠٧ ٥٠٦ ٥٠٥ ٥٠٤ ٥٠٣ ٥٠٢ ٥٠١ ﴾ [ سورة القيامة الآية  
الأولى والثانية ]، يقول: " إدخال "لا" النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم  
وأشعارهم، قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامري لا يدحى القوم أنى أفرّ.

وقال غوثة بن سلمى:

1 - الزمخشري: الكشاف، ج4، ص: 385.

2 - إميل بديع يعقوب: معجم الإعراب والإملاء، ص: 116.



﴿ ۞ ۝ ۜ ۛ ۞ ۝ ۜ ۛ ۞ ۝ ۜ ۛ ۞ ۝ ۜ ۛ ۞ ۝ ۜ ۛ ۞ ۝ ۜ ۛ ۞ ۝ ﴾ [ سورة النبأ : الآية الأولى  
و الثانية ] .

يقول الزمخشري في كشافه : " (عمّ) أصله عمّا، على أنه حرف جرّ دخل على ما  
الاستفهامية، وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر، قال حسان رضي الله عنه:

على ما قام يَشْتَمُنِي لَتِيْمٌ      كخنزير تمرّغ في رمادٍ .

والاستعمال الكثير على الحذف. والأصل قليل. ومعنى هذا الاستفهام: تفخيم الشّأن، كأنّه  
قال: عن أي شأنٍ يتساءلون...<sup>1</sup>.

الاستفهام بأساليبه وطرقه المتعددة من الأساليب العربية البالغة الدقة والأهمية في  
الاستعمال اللغوي العربي، لطلب الفهم والتصديق والإدراك... الخ.

فسبحانه من خلال قوله ( عمّ يتساءلون) أسلوب استفهام الغرض منه التقرير بأمر  
وحقيقة هذا اليوم العظيم، تفخيماً لشأنه.

وعليه أشار النّحاة بأن الأصل في الاستفهام هو طلب الإفهام أو طلب الإخبار، يقول 'عبد  
القاهر الجرجاني': "...، الاستفهام استخبارٌ والاستخبارُ هو طلب من المخاطب أن  
يخبرك"<sup>2</sup>.

ولا يعني ذلك توقفه عن هذين الحدين، إنّما استعمل للتّوبيخ كما استعمل للتّعجب  
والإرشاد،... الخ. وهذا هو أحد أساليب النصّ القرآني المعجز.

وأثره : مساعدة المفسّر في معرفة المخبر عنه الذي هو في هذه الآية (النّبأ العظيم)

تفخيماً لشأنه.

يقول 'إميل بديع يعقوب' في (عمّ) : " لفظ مركب من حرف الجرّ "عن" و"ما"  
الاستفهامية التي حُذفت ألّفها لدخول حرف الجرّ عليها، ... "<sup>3</sup>.

1 - الزمخشري: الكشاف، ج4، ص: 683.

2 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 103.

3 - إميل بديع يعقوب : معجم الإعراب والإملاء، ص: 283.



أما 'ابن هشام' فقال: " (ما) الاستفهامية متى دخل عليها حرف الجرّ حُذفت ألفها وجوبا، ..."<sup>1</sup>.

### المطلب السابع: القسم وجوابه

أخذ المؤلف بأسلوب القسم كذلك، قال في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة الطّارق]: الآية الرابعة]: " فإن قلت : ما جواب القسم ؟ قلت : (إن كل نفس لما

عليها حافظ)، لأنّ (إن) لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة، بمعنى إلا أن تكون نافية.

وفيمن قرأها مخففة على أن (ما) صلة تكون مخففة من الثّقيلة ، وأيتها كانت فهي مما يتلقى به القسم، حافظ مهيمن عليها رقيب، وهو الله عزّ وجلّ (وكان الله على كلّ شيء رقيبا)، (وكان الله على كل شيء مقيتا) وقيل: ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر"<sup>2</sup>.

يقول 'ابن الانباري': " فإن قيل : فلم جعل جواب القسم باللّام وإنّ وما ولا؟ قيل: لأنّ القسم وجوابه لما كانا جملتين، والجمل تقوم بنفسها، وإنّما تتعلق إحدى الجملتين بالأخرى برابطة بينه وبين جوابه، وجوابه لا يخلو إما أن يكون موجبا أو منفيا، جعلوا الرّابطة بينهما بأربعة أحرف حرفين للإيجاب، وهما اللّام وإن ، وحرفين للنّفي، وهما : ما ولا "<sup>3</sup> ويقول الزمخشري أيضا في حدّ القسم: "يشترط فيه الاسم والفعل، وهو جملة فعلية أو اسمية تؤكّد بها جملة موجبة أو منفية"<sup>4</sup>

وقوله تعالى: (السماء والطّارق) : جملة القسم، اسمية مؤكدة للجملة المنفية ( إن كل نفس لما عليها حافظ)، التي هي جوابه. والرّابط بين الجملتين، إمّا إن النّافية أو ما، وفيه تعظيم وتفخيم لقدرته سبحانه في خلقه.

ويتّضح أثر هذا القسم في تفسير هذه الآية في:

1 - ابن هشام: شرح شذور الذهب، ص: 421.

2 - الزمخشري: الكشاف، ج4، ص: 734.

3 - ابن الانباري: أسرار العربية، ص: 248.

4 - الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب ، ص: 483.

\*من قرأ (لما) بالتشديد كان التقدير: ما كل نفس إلا عليها حافظ؛ أي كل نفس عليها من الله ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر.

\*ولما قرئت (لما) بالتخفيف، ف(ما) صلة، والتقدير: إن كل نفس لعلها حافظ؛ أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات.

ومنه جواب القسم في هذا الموضع أبان هذا الخبر من خلال حرفا جوابه ما، وإن.

### المطلب الثامن: أفعال القلوب

اعتمد الزمخشري في تفسيره لبعض الآيات على أفعال القلوب معتمدا في ذلك على خصائصها، ومن ذلك ما يتعلق بالفعل (رأى)، يقول في الآية الكريمة: ﴿رَأَى الْكَلْبَ إِذَا سَفَى﴾ [سورة العلق: الآية السادسة و السابعة]: "... (إن رءاه) أن رأى نفسه، يقال في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني، وذلك بعض خصائصها. ومعنى الرؤية: العلم؛ ولو كانت بمعنى الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين و(استغنى) هو المفعول الثاني..."<sup>1</sup>.

قال 'ابن الناظم': "من الأفعال أفعال واقعة معانيها على مضمون الجمل؟ فتدخل على المبتدأ والخبر بعد أخذها الفاعل فتتصبها مفعولين"<sup>2</sup>.

وقوله تعالى: ( أن رءاه استغنى)، رءاه: فعل من أفعال القلوب على معنى العلم، جمع بين ضميري: الفاعل (هو) في الفعل(رآه) ويعود على الإنسان، والمفعول به الأول (الهاء) تعود على المال، واستغنى مفعول به ثانٍ.

والمعنى: " يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله"<sup>3</sup>.

1 - الزمخشري: الكشاف، ج4، ص: 777.

2 - ابن الناظم: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ص: 141.

3 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص: 648.

يقول "ابن الانباري": "وأما (رأيت) فتكون من رؤية القلب، فتتعدى إلى مفعولين، نحو: رأيت الله غالباً، وتكون من رؤية البصر فتتعدى إلى مفعول واحد، نحو: رأيت زيدا، أي أبصرت زيدا، ...<sup>1</sup>.

وجاء في المفصل: "... ومنها أنك تجمع بين ضميري الفاعل والمفعول فتقول علمتني منطلقاً، ووجدتك فعلت كذا، ورآه عظيماً"<sup>2</sup>.

فأفعال القلوب شأنها شأن باقي القواعد النحوية في إبراز المعنى، إذ تختلف دلالاتها على حسب ورودها في التركيب، من حيث تعديها للأفعال.

ويبدو أثر الفعل "رأى" في هذه الآية، حيث جاء على معنى العلم فكشف عن حقيقة الإنسان إذا ما كثر ماله استغنى؛ لأن لفظ (استغنى) يتعلّق بكسب المال.

### المطلب التاسع: دخول لا النافية وما على الفعل المضارع

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلْكَ الْحُلُومُ وَلَا يَبْرَأُونَ فِيهَا مِنَ آلِهِمْ وَلَا مِنْكُمْ﴾ [سورة الكافرون]

: قول الزمخشري: "... (لا أعبد) أريد به العبادة فيما يستقبل، لأنّ (لا) لا تدخل إلاّ على مضارع في معنى الاستقبال كما أنّ (ما) لا تدخل إلاّ على مضارع في معنى الحال، ألا ترى أنّ (لن) تأكيد فيما تنفيه (لا) وقال الخليل في (لن) أن أصله (لا أن) والمعنى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهم، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي..."<sup>3</sup>.

قوله تعالى: (لا أعبد ما تعبدون) : جملة فعلية لنفي الفعل، وقوله (ولا أنا عابد ما عبدتم) جملة اسمية لتأكيد نفي الفعل، وقوله (ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد) تركيب في معنى زمن المستقبل.

1 - ابن الانباري: أسرار العربية، ص:150.

2 - الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ص: 348.

3 - الزمخشري: الكشاف: ج4، ص: 808.

أما دخول "لا" النافية مع الفعل المضارعة في معنى الاستقبال، و"ما" مع فعل المضارعة أيضا في معنى الحال، أفاد أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفى عن نفسه عبادة ما يعبدون من عبادة آلهتهم في الماضي والحاضر والمستقبل.

أما ما قاله 'الخليل' في أن "لن" أصله "لا أن" حيث (لن) تأكيد فيما تنفيه (لا) فللتأكيد النفي، أي تأكيد نفيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهذه العبادة بالكلية.

يقول 'ابن الناظم': "الأصل في (لا) النافية ألا تعمل، لأنها غير مخصصة بالأسماء، وقد أخرجوها عن هذا الأصل، فأعملوها في النكرات عمل (ليس) تارة، وعمل (إن) أخرى، فإذا لم يقصد بالنكرة بعدها استغراق الجنس صحّ فيها أن تحمل على (ليس) في العمل، لأنها مثلها في المعنى.

وإذا قصد بالنكرة بعدها الاستغراق صحّ فيها أن تحمل في العمل، لأنها لتوكيد النفي، و(إن) لتوكيد الإيجاب، فهي ضدها، والشّيء قد يحمل على ضده، كما يحمل على نظيره، لأنّ الوهم ينزل الضدين منزلة النظيرين، ولذلك نجد الضدّ أقرب حضورا في البال مع الضدّ"<sup>1</sup>.

ويكمن أثر هذه القاعدة في بيان زمن الفعل المنفي، حيث نفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نفسه هذه العبادة بالكلية؛ أي في الماضي والحاضر والمستقبل، وتأكّد ذلك بالجملة الاسمية.

### المطلب العاشر: التعريف بضمير الشأن

من مواطن المعاني النحوية (الإضمار والتفسير): وهو أن يتقدم ضمير الغائب ثم يوتى بما يفسره، تفخيما وتعظيما في ذكر ذلك المفسر.

قال الزمخشري -رحمه الله- في تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

﴿

هو الشأن، كقوله : هو زيد منطلق، كأنه قيل الشأن هذا، وهو أن الله واحد لا ثاني له، فإن قلت: ما محل هو؟ قلت: الرفع على الابتداء والخبر الجملة، فإن قلت: فالجملة الواقعة خبر لا بد فيها من راجع إلى المبتدأ، فأين الراجع؟ قلت: حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك (زيد غلامك) في أنه هو المبتدأ في المعنى، وذلك أن قوله (الله أحد) هو الشأن الذي هو عبارة عنه، وليس كذلك (زيد أبوه منطلق) فإن زيدا والجملة بدلان على معنيين مختلفين، فلا بد مما يصل بينهما، وعن ابن عباس: قالت قریش: يا محمد، صف لنا ربك الذي تدعوننا إليه، فنزلت: يعني: الذي سألتموني وصفه هو الله، وأحد بدل من قوله، الله. أو على: هو أحد، وهو بمعنى واحد، وأصله وحدّ....<sup>1</sup>.

تقدم ضمير الشأن (هو) -الضمير المبهم- على قوله (الله أحد) -المفسر له- تشويقاً لنفس السامع إلى العثور على المراد، الذي هو (الله أحد) ليكون أوقع في النفس، لأنها صفة الرحمن الواحد الأحد. لا إله إلا سواه، تعظيماً وتفخيماً لشأنه.

يقول الرضي في شرح الكافية " وإنما يقتضي ضمير الغائب تقدم المفسر عليه؛ لأنه وضعه الواضع معرفة لا بنفسه بل بسبب ما يعود عليه، فإن ذكرته ولم يتقدمه مفسره بنفي مبهما منكر، لا يعرف المراد به حتى يأتي تفسيره بعده، ... قصد التّفخيم والتّعظيم في ذكر ذلك المفسر بأن يذكروا أولاً شيئاً مبهما حتى تتشوق نفس السامع إلى العثور على المراد ثم يفسروه فيكون أوقع في النفس،...<sup>2</sup>.

إن الإضمار والتفسير من القضايا النحوية البارزة في بيان المعاني الخفية جراً هذا الإبهام.

وأثر هذه القاعدة يتمثل في: بيان المخبر عنه قصد تعظيمه وتفخيمه، وهو في هذه الآية الله سبحانه وتعالى، إذ ذكر أولاً مبهما (الضمير هو) ثم فسّر بقوله (الله أحد. الله الصمد...).

### المطلب الحادي عشر: عطف البيان

عطف البيان من الأساليب المجازية والاعجازية الكثيرة في نظم القرآن الكريم ومنها

<sup>1</sup> - الزمخشري: الكشاف، ج4، ص: 817.

<sup>2</sup> - الرضي: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ج1، ص: 117.

ما جاء في قوله تعالى : ﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ ما هما من ربّ النَّاسِ ؟ قلت: هما عطف بيان كقولك: سيرة أبي حفص عمر الفاروق. بيّن بملك النَّاسِ، ثم زيد بيانا بـإله النَّاسِ، لأنه قد يقال لغيره : ربّ النَّاسِ، كقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد يقال : ملك النَّاسِ . وأمّا (إله النَّاسِ) فخاص لا شركة فيه، فجعل غاية للبيان. فإن قلت: فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو النَّاسِ مرّة واحدة؟ قلت: لأن عطف البيان للبيان. فكان مظنة للإظهار دون الإضمار<sup>1</sup>.

قوله سبحانه (ملك النَّاسِ إله النَّاسِ) "عطف بيان" غرضه البيان حيث بيّن سبحانه بأنّه (ملك النَّاسِ) ثم زاد البيان بأنّه (إله النَّاسِ)، ولهذا لم يكتف بمضاف إليه واحد الذي هو (النَّاسِ) لفائدة التّوسع في البيان وتأكيده.

يقول "ابن هشام" في فائدة عطف البيان: "عطف البيان مفيد فائدة النّعت في إيضاح متبوعة وتخصيصه"<sup>2</sup>.

ومنه: ( ملك النَّاسِ ) هي إيضاح وبيان لربّ النَّاسِ، و( إله النَّاسِ ) هي زيادة لبيان ( ربّ النَّاسِ ) و( ملك النَّاسِ )، وهي كلها صفاته الخاصة سبحانه لا شريك له.

ويكمن أثر هذه القاعدة في تفسير هذه السورة في بيان معاني الألفاظ، فسبحانه لما ذكر لفظة الرّب والملك والإله، فلأنها عطف بيان حيث أن لفظة الملك أوضح من لفظة الرّب، ولفظة الإله أوضح وأعم من لفظتي الرّب والملك.

أما تكرار لفظة النَّاسِ مع كل منهم فلزيادة البيان والتّوسع لغرض التّأكيد . فسبحانه هو الرّب والملك والإله.

توصل الباحث مما تقدّم من قضايا إلى:

توصل الباحث مما تقدّم من قضايا إلى:

1 - الزمخشري: الكشف، ج4، ص: 823.

2 - ابن هشام : شرح قطر الندى وبل الصدى، ص: 399.

- صيغة الجمع في بعض الألفاظ القرآنية تساعد في بيان معاني تراكيب الآيات من نحو لفظة مثاني حيث دلت على أن القرآن متشابه وهو جملة من تفاصيل ... لتأكيد النصح والموعظة.

- جاءت بعض حروف الزيادة لتوكيد معنى الحدث والدلالة عنه، كالحرف "ما" في قوله تعالى (حتى إذا ما جاءوها) .

- المفعول لأجله ساعد المفسر في بيان معنى الفعل.

- حرف الجر الذي يتعدى به الفعل يبين معنى التعدية ومنها يتبين معنى الآية.

- دخول لا النافية على فعل القسم لتأكيد النفي والقسم المنفي دلالة على ثبات المقسم به للتعظيم.

- الاستفهام بـ (عمّا) ساعد المفسر بتوضيح المخبر عنه الذي هو النبأ العظيم تفخيماً لشأنه.

- جواب القسم يحدد معنى الآية من خلال أحرف جوابه.

- أفعال القلوب تساعد على إيضاح معاني الآيات القرآنية من حيث دلالة أفعالها.

- دخول لا النافية، وما على الفعل المضارع عمل على بيان زمن الفعل المنفي ونفاه بالكلية.

- التعريف بضمير الشأن فائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بأن يذكر أولاً مبهما ثم يفسر.

- عطف البيان يعمل على زيادة التوسع في المعنى وزيادة تأكيده.

إنّ التفكير النحوي كان له الأثر الكبير في تفسير كتاب الله وتوضيح معانيه، فقد كان في أسلوب الاستفهام، والشرط، والقسم، والحذف، والزيادة، المبتدأ والخبر، التقديم والتأخير، الصفة، الحروف، الإعراب،... إلى غير ذلك من مسائل نحوية -على اختلاف أغراضها البلاغية-، وسائل تساعد على كشف المعنى النصي القرآني وتوضيحه لتيسير فهمه.

الخطاتمة





ومن جملة ما توصل إليه الباحث من نتائج ما يلي:

- أن عملية التفسير تحتاج إلى معرفة عميقة بعلوم اللغة، إلى جانب علوم القرآن و ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين من تفسير.

- التفسير يغلب استعماله في المفردات، والتأويل يعنى بتدبر ظاهر الآيات، ويهتم بالمعاني المستنبطة؛ لأنه راجع إلى الدراية والاجتهاد.

- يتم كشف المعاني بعقد الصلة بين المعنى واللفظ، وبعقد الصلة بين النحو والبلاغة.

- برز التفسير اللغوي النحوي مع الإمام الزمخشري من خلال تفسيره الكشاف.

- أن عملية التفسير تستلزم معرفة عميقة بقوانين النحو وأحكامه، ويمكن أثر القاعدة النحوية في التفسير بكشف معاني النص القرآني وتبينه وتوضيح الغرض منه من حيث بيان أحكام الشريعة الإسلامية وتوضيحها، وبيان الحقائق الكونية والوجودية، وحقبة الرسالة الإسلامية وذلك بطرق وأساليب متنوعة وأغراض مختلفة.

- يختلف هذا الأثر من مفسر إلى آخر مثلا : تفسير الجرجاني لقوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَهُوَ كَمَا أَنَّ السَّمَكِ فِي الْبَحْرِ مَرْجُومًا يَنْزِلُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ مُمْسِكًا بِمِصْرٍ صَبْحًا﴾ [سورة البقرة: الآية مائة وتسعة وتسعون]، حيث شبهها بالآية الأخرى من سورة يونس : الآية ستة وأربعون ﴿فَجَعَلْنَا مَاءَ الْوَادِي الْمَيْتِ سَائِلًا فَجَاءَ الْجِبَالُ حُبُورًا فَجَازَاها مِنْ أَوَّلِ نَارٍ كَالْبَحْرِ الْمُهَيَّبِ﴾ [سورة يونس: الآية 24]، فجعل (ثم) بمعنى (الواو) بينما الزمخشري وابن كثير وما جاء في تفسير المنار (ثم) هي للترتيب.

وقال أيضا بأنّ (أو) في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَهُوَ كَمَا أَنَّ السَّمَكِ فِي الْبَحْرِ مَرْجُومًا يَنْزِلُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ مُمْسِكًا بِمِصْرٍ صَبْحًا﴾ [سورة البقرة: الآية أربعة وسبعون]، بمعنى (الواو)، ونقل قول غيره بمعنى (بل) على معنى هذه القلوب في قسوتها مثل الحجارة وأشد قسوة أو على معنى فهي كالحجارة بل أشد قسوة إلى غير ذلك من قضايا تفسيرية.

- تختلف طرق التفسير بالنحو من مفسر إلى آخر، فابن كثير مثلاً يأخذ به في بعض المواضع فقط، بينما الزمخشري يعرض لذلك بتوسع، أما الجرجاني فيأخذ به دونما تعمق ويأخذ بأساسيات الآيات .

وفي الأخير تضل هذه النتائج مجرد نتائج لبعض القضايا النحوية التفسيرية كان للنحو فيها أثره الواضح في بيان معاني آي القرآن لتيسير فهمه والاهتداء به.

وفي الختام أشكر الله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، وأسأله التوفيق والهداية وحسن الختام.

والحمد لله رب العالمين.

# قائمة المصادر والمراجع

\*القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.

## المصادر:

- 1- إميل بديع يعقوب : معجم الإعراب والإملاء، دار الشّريف د ط، د ت.
- 2- الأصبهاني (أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي الأصبهاني) : شرح اللّمع في النّحو دراسة وتحقيق محمد خليل مراد الحربي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1 2007م.
- 3- ابن الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ابن أبي سعيد الأنباري): أسرار العربية، تحقيق فخر صالح قراره، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.
- 4- باسمة درويش: الدليل إلى ألفية ابن مالك في النّحو والصّرف والإعراب (تبويب وتوضيح محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي)، الباسمة للنشر والتوزيع، دمشق - سوريا ط1، 2002م.
- 5- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د ط، 2005م.
- 6- الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني):  
\*دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط1، 2001م.
- \*دُرَج الدرر في تفسير القرآن العظيم، تحقيق طلعت صلاح الفرحان - محمد أديب شكور، دار الفكر، عمان - الأردن، ط1، 2009م، ج2.
- 8- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د ط، 2000م، ج2.
- 9- ابن خالويه(أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه): إعراب ثلاثين صورة من القرآن الكريم، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، د ط، د ت.
- 10- ابن خلدون (عبد الرّحمن بن خلدون) : المقدّمة، دار الفكر، طبعة جديدة، 2007م.

**11-** الرّضي الإسّتر أباضي (محمد بن الحسن الإسّتر أباضي السّمنائي النّجفي الرّضي): شرح الرّضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق يحيى بشير مصري، أشرفت على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بالجامعة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1996م المجلد الأول.

**12-** الزّجاجي (أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق الزّجاجي): الإيضاح في علل النّحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط1- ط5، 1974م - 1986م.

**13-** الزّرّ قاني (محمد عبد العظيم الزّرّ قاني): مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت - لبنان، د ط، 2008م.

**14-** الزّمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري):

\*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط3، 1987م.

\*المفصل في صنعة الإعراب، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ط1، 1993م.

\*أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1998م، ج2.

**17-** سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تعليق إمّيل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1999م، المجلد الأول.

**18-** السّيوطي (جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطي):

\* طبقات المفسّرين، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، بحايرين، ط1، 1976م.

\* لباب النّقول في أسباب النّزول، تعليق عبد الرّزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، د ط، 2005.

**20-** الصّلابي (علي محمد محمد الصّلابي): السّيرة النّبوية الشّريفة، دار ابن كثير دمشق - بيروت، ط4، 2009م، ج2.

- 21- ابن فارس ( أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا ): الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها و سنن العرب في كلامها، دار الكتب العلميّة، بيروت -لبنان، ط1، 1997م.
- 22- الفيروز أبادي (مجد الدّين محمد بن يعقوب بن إبراهيم الفيروز أبادي الشّيرازي الشّافعي): قاموس المحيط، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1، 1999م، ج3.
- 23- ابن كثير ( أبو الفداء إسماعيل ابن كثير): تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة د ط، 2003م.
- 24- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ) : المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ، القاهرة ، ط 2 ، 1994 م ، ج3.
- 25- محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2، د ت.
- 26- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري): لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، ط1، 1990م، ج3، ج5.
- 27- ابن النّاطم أبو عبد الله بدر الدّين محمد ابن الإمام جمال الدّين محمد بن مالك: شرح ابن النّاطم على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة بيروت - لبنان، ط1، 2000م.
- 28- ابن هشام ( جمال الدّين عبد الله بن هشام الأنصاري):
- \*مغني اللّبيب عن كتب الأعراب : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، سيدا - بيروت، ط 1، 1999م، ج1.
- \*مغني اللّبيب عن كتب الأعراب: مراجعة إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة بيروت، ط 1، 1998م، المجلد الثاني.
- \*شرح شذور الذهب، مراجعة وتصحيح يوسف محمد البقّاعي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط 1، 2003م.

\* شرح قطر الندى وبل الصدى، دار الفكر، بيروت - لبنان، د ط، 2007م.

## المراجع:

32- إبراهيم عبد الله رفيده: النحو وكتب التفسير، الدار الجماهيرية مصراته، الجماهيرية العربية الليبية، ط3، 1990م، ج1.

33- أحمد عبد الغفار:

\* التفسير ومناهجه والنص وتفسيره، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2000م.

\* التأويل الصحيح للنص الديني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2003م.

\* النص القرآني بين التفسير والتأويل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 2  
2009م.

36- التواتي بن التواتي: القراءات القرآنية وآثارها في النحو العربي والفقهاء الإسلاميين  
دار الوعي، رويبة - الجزائر، د ط، د ت.

37- رابح دوب: البلاغة عند المفسرين، دار الفجر، القاهرة، ط2، 1999م.

38- سالم نادر عطية: الزمخشري وجهوده في النحو، دار جرير، عمان - الأردن، ط1  
2010م.

39- سعيد حسن بحيري: القصد والتفسير في نظرية النظم (معاني النحو) عند عبد القاهر  
الجرجاني، كلية الألسن، جامعة عين شمس الأنجلو المصرية، مصر، د ط، 1990م.

40- سليمان محمد سليمان: أثر الأدب في التقعيد اللغوي، دار الوفاء الإسكندرية، د ط،  
د ت.

41- الشحات السيد زغلول: مناهج في التفسير، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط  
2007م.



42- صبحي الصّالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان ط13، 1981م.

43- علي أبو المكارم: أصول التّفكير النّحوي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2006م.

44- فاضل صالح السّامرائي: الدّراسات النّحوية واللّغوية عند الزمخشري، دار عمار عمان، ط2، 2009م.

45\_ كريم حسين ناصح الخالدي: نظرية المعنى في الدراسات النّحوية، مكتبة المجتمع العربي، دار صفاء، عمان، ط1، 2006م.

46- محمد سالم صالح: أصول النحو(دراسة في فكر الأنباري)، دار السلام، الإسكندرية ط1، 2006م.

47- محمد الوهاب حسن حمد: النّظام النّحوي في القرآن الكريم(دلائل النّظام النّحوي) دار صفاء، عمان، ط1، 2010م.

48- محمد عبد الله قاسم: الأصول النحوية والصرفية في الحجّة (لأبي علي الفارسي (ت 377 هـ)، دار البشائر، دمشق سوريا، ط1، 2008م، ج1.

49- محمد علي الصّابوني: التّبيان في العلوم القرآن، مكتبة رحاب، قسنطينة - الجزائر ط9، 1986م.

50- محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة 'رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة (الحديث)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009م.

51- محمد مسعود علي حسن عيسى: أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي ( دراسة تطبيقية في سورة البقرة) ، دار السلام، الإسكندرية، ط1، 2009م.

52- مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار صبح، بيروت - لبنان، ط1، 2007م.

شبكة الانترنت:

53- أحمد بن محمد الأدنروي: طبقات المفسرين، (مكتبة مشكاة الإسلامية):

Topdf : [www .al – Mustafa com](http://www.al-Mustafa.com).

54- صالح علي محمد النهاري: الشاهد القرآني وأثره في التقعيد للقواعد النحوية (مقال) - مجلة آرتين المرجع الأول لطلاب الأدب .

[w w w . ARTEN . com](http://www.ARTEN.com).

55- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، (مكتبة مشكاة الإسلامية):

Topdf : [www . al –Mustafa .com](http://www.al-Mustafa.com) .

فقرس الموضوعات

مقدمة ..... أ/د

الفصل الأول: علم التفسير وعلاقته بالنحو العربي ..... 5- 48

المبحث الأول: علم التفسير (المفهوم، النشأة، التطور) ..... 6

المطلب الأول: مفهوم علم التفسير ..... 6

- المفهوم اللغوي والاصطلاحي ..... 6

- الفرق بين التفسير والتأويل ..... 8

المطلب الثاني: نشأة علم التفسير ..... 10

- عهد النبوة ..... 10

- عوامل النشأة ..... 12

المطلب الثالث: تطور علم التفسير ..... 13

- عهد الصحابة ..... 13

- عهد التابعين ..... 14

- عهد تابعي التابعين ..... 15

المبحث الثاني: أثر البحث النحوي في نشأة التفسير ..... 15

المطلب الأول: التفسير بالرأي وبداية التفكير النحوي ..... 15

- النحو وكتب معاني القرآن ..... 16

- النحو والتفسير بالرأي ..... 18

المطلب الثاني: مراحل التفكير النحوي في كتب التفسير ..... 20

المطلب الثالث: شروط التفسير بالرأي وموقع النحو منها ..... 25

المبحث الثالث: التقعيد النحوي (مفهومه، مصادره) ..... 28

28	المطلب الأول: مفهوم التّعيد .....
29	المطلب الثاني: مصادر التّعيد .....
33	المطلب الثالث: مكانة القرآن الكريم في التّعيد .....
37	المبحث الرابع: الزّمخشري (دراسة حياته وفكره) .....
37	المطلب الأول: حياة الإمام الزّمخشري .....
38	المطلب الثاني: فكره .....
	المطلب الثالث: تفسير الكشاف ( عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل
40	في وجوه التّأويل ) .....
40	- التعريف بالكتاب .....
42	- مصادر ومنهج الزّمخشري في تأليف الكشاف .....
44	- خصائص الكشاف وقيمته العلمية .....
116 - 49	الفصل الثاني: التّفكير النّحوي وأثره في التّفسير "دراسة تطبيقية" .....
50	المبحث الأول: دراسة تحليلية للربع الأول من تفسير الكشاف .....
70	المبحث الثاني: دراسة تحليلية للربع الثاني من تفسير الكشاف .....
87	المبحث الثالث: دراسة تحليلية للربع الثالث من تفسير الكشاف .....
101	المبحث الرابع: دراسة تحليلية للربع الرابع من تفسير الكشاف .....
117	الخاتمة .....
120	قائمة المصادر والمراجع .....
128	فهرس الموضوعات .....